

26

السنة الثالثة - نيسان 2015 - العدد

شهيرة نافذة متنوعة - تصدر عن «مداد سوريا» للثقافة والإعلام

الغورجال

معا لأجل سوريا

ملف الصور المسربة للمعتقلين والمقتولين تحت التعذيب  
جريمة العصر المسكوت عنها دولياً

سجن المزة العسكري  
بيت السياسيين السوريين، ومنتهى ظموحاتهم

الخبز الأسود غذاء السوريين الجدد

# الغربال

معاً لأجل سوريا

مجلة شهرية ناقدة متنوعة

تصدر عن

مداد سوريا للثقافة والإعلام

رئيس التحرير

محمد السلوم

مدير التحرير

رامي سويد

التصميم الفني

محمد الخطيب

[www.algherbal.com](http://www.algherbal.com)

[www.facebook.com/ALGRBAL](https://www.facebook.com/ALGRBAL)

[@ALGhRBAL](https://twitter.com/ALGhRBAL)

الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن موقف المجلة، وحق الرد مكفول للجميع.

## في هذا العدد...

3- استمرار "نظام الأسد" مصلحة إسرائيلية عليا

- رامي سويد.

4- مواطن - عبد العزيز الموسى.

5- ملف الصور المسربة للمعتقلين المقتولين

تحت التعذيب: جريمة العصر المسكوت عنها دولياً - صفاء عليان.

10- سجن المزة العسكري: بيت السياسيين

السوريين، ومنتهى طموحاتهم - عن صحيفة النهار ومصادر أخرى.

13- حوار مع الأمين العام للائتلاف السوري

المعارض: الأستاذ محمد يحيى مكتبي - حاوره: رامي سويد.

17- مدينة بصرى الشام: قلعة الأمجاد السورية

- سمر العمر.

18- الخبز الأسود غذاء السوريين الجديد -

محمد عثمان.

21- العمل التطوعي فرصة أبناء سوريا

لاكتشاف أنفسهم - سما إبراهيم.

22- الرضاعة الطبيعية في زمن الكوارث -

د. سامر الجنيدي.

23- لواء شهداء بدر - رامي سويد.

26- صور المأساة السورية في أدب السجون -

زينة عادل.

29- التراث السوري: مجزرة المقامات والأضرحة

الصوفية ما زالت مستمرة - القسم الثاني -

د. شيخموس علي - أ. سام علي.



05



10



18



23



29

## استمرار «نظام الأسد» مصلحة إسرائيلية عليا

رامي سويد

لها في العام قبل الماضي ومنع سكانها من العودة إليها بالرغم من استعادة قوات النظام السوري للسيطرة بشكل كامل عليها بداية العام الماضي.

مخيم حندرات للاجئين الفلسطينيين شمال حلب تم إفراغه أيضاً من سكانه بسبب استمرار قصف قوات النظام له منذ عامين، القصف الذي أحال أبنية المخيم خراباً بحيث بات غير قابلاً للسكن بأي حال، كما أن مخيم درعا للاجئين الفلسطينيين تعرض كغيره لعمليات قصف أدت لتهجير سكانه.

ويطرح إخلاء مخيمات اللاجئين الفلسطينيين من سكانها بفعل قصف قوات نظام الأسد لها بشكل واضح مدى المنفعة الكبيرة التي تحصل عليها إسرائيل من استمرار قيام قوات النظام بتهجير اللاجئين الفلسطينيين من مخيماتهم، ففضية حق العودة التي اعتبرت طوال السنين الستين الماضية خطأً أحمر بالنسبة لكل الهيئات السياسية والعسكرية الفلسطينية بدأت تصفيتها بشكل فعلي منذ بدء النظام السوري بتهجير اللاجئين الفلسطينيين في سوريا من مخيماتهم، ليتوه اللاجئين الفلسطينيون في متاهات لجوء جديد إلى تركيا والأردن ولبنان وأوروبا، لجوء جديد فرّقهم وأنهى مخيماتهم وأضاع قضيتهم وحققهم في العودة إلى مدنهم وبلداتهم في فلسطين، لتنجح إسرائيل في التخلص من ثاني أكبر كتلة من اللاجئين الفلسطينيين كانت في سوريا بعد الكتلة الأكبر الموجودة في الأردن.

لا يبدو مستغرباً بعد هذا غرض المجتمع الدولي النظر عن جرائم النظام السوري بحق الشعب السوري، فالنظام استطاع أن يخلق بقتله وتهجير الشعب السوري وتدميره للبنية التحتية في سوريا مصالح لإسرائيل التي كانت على الدوام مستفيدة من وجوده ومستعدة بالتالي لاستخدام لوبياتها وأدوات ضغطها في المجتمع الدولي لدفعه لغض النظر عن جرائم هذا النظام وقيامه بتدمير سوريا وتحويلها لساحة حرب دائمة لا مستفيد منها إلا إسرائيل التي باتت تنعم بالراحة بعد قيام نظام الأسد باستنزاف الشعب السوري وتدمير الدولة السورية.

كشفت الحرب التي اشتعلت مؤخراً في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين جنوب العاصمة دمشق؛ مدى قدرة نظام الأسد على استثمار الصراعات التي تنشأ بين الفصائل المختلفة التي تعمل خارج مناطق سيطرته، ولم يجد نظام الأسد نفسه في وضع أفضل من الوضع الذي خلقه اقتحام تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) لمخيم اليرموك.

فقد حقق نظام الأسد مكاسب سياسية من اقتحام داعش لليرموك، تمثلت بتحويل منظمة التحرير الفلسطينية قوات النظام بدخول اليرموك بحجة التصدي لداعش، كما حقق نظام الأسد مكاسب عسكرية من خلال ضرب كتائب أكناف بيت المقدس وإضعافها باعتبارها العدو الأبرز له داخل المخيم، وكانت المكاسب الإعلامية هي أهم ما حصل عليه نظام الأسد من اقتحام داعش لليرموك، حيث غطى اقتحام داعش للمخيم على حقيقة أن النظام السوري يحاصر ثمانية عشر ألف لاجئاً فلسطينياً في مخيم اليرموك منذ ما يقارب العامين ويقطع المياه عن المخيم منذ نحو مئتي يوم، كما أن أخبار اقتحام داعش لليرموك غطت في وسائل الإعلام العربية والعالمية على أخبار التراجع الكبير الذي تعاني منه قوات النظام في درعا بعد خسارتها السيطرة على مدينة بصرى الشام ومعبر نصيب الحدودي وفي الشمال السوري بعد خسارتها السيطرة على مدينة إدلب.

وكشفت حرب المخيم الأخيرة عن مدى عمق مأساة اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، فمعظم الثمانية عشر ألفاً من سكان مخيم اليرموك الذين بقوا من أصل سكانه البالغ عددهم قبل الثورة نحو ثلاثمائة وخمسين ألفاً اضطروا مؤخراً إلى النزوح نحو بلدات بلدا وبيلا وبيت سحم المجاورة للمخيم، ليصبح المخيم شبه خال من اللاجئين الفلسطينيين، حاله من حال مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الثلاثة الأخرى الموجودة جنوب العاصمة دمشق وهي مخيمات السبينة والحسينية والست زينب والتي تم إفراغها من سكانها بسبب قصف قوات النظام

# المواطن السوري وثقافة الإذلال!

عبد العزيز الموسى

لست وحدي من يحمل هذه الجرثومة مع أي وحدي  
أعترف لكم!

ننهمك أحياناً بجلد ذواتنا الغبية التي أخضعت  
على مرّ الزمن لآليات تزوير استفاد منها العالم كله  
عدانا، أو بعبارة أصح كانت على حسابنا. صرنا نفتك  
بأنفسنا وقد عجزنا عن الفتك بمن أذلنا قروناً مديدة  
ومن الذي اضطهدنا وحقرنا، نلتذذ بمعاناتنا المريعة  
ونتجول في السر بين سراديب الذات الخلفية لندين  
حالياً، الكل يمارس علينا فضيلة الخفاء والكل يملئها،  
مما ولد فينا مشاعر انتقامية طاغية نحو الكل بلا  
استثناء.

تختلف مصادر التمويل في تحسيسنا بالدونية لكنها  
دائماً متفقة في الاتجاه صوبنا، أخس ما تظهر في  
سلوك القامع الفرد المستبد نحو رعيته أو من توهّموا  
أنهم رعية، لا ناسه ولا رعيته ولا من يحزنون. العجز  
الساحق الذي نحسه إزاء حاكم مريض حوّلنا لمازوخين  
وجعلنا نصّغر حالنا على أمل ألا يرانا أحد ولكنه في  
كل مرة يرانا! نستحضر من التاريخ صوراً بهية على  
أمل أن تزهى البؤس وتعوضنا عن راهن دموي ولم  
نفلح. تلجؤنا بالماضي لا يحل المشكلة، يزورها ويملاً  
أسواق النفس ببضاعة غريبة لفترة من الوقت ولكنها  
سرعان ما تنضب من الأسواق ونكتشف أن الماضي لم  
ينقذنا من محتنتنا مهما قلنا فيه من مدائح ومواويل  
باعتباره متفوقاً في وهمنا ومنصفاً للفقراء وفذاً، ومع  
ذلك لا يرد علينا ويهمس في روعنا: عليكم أن تلتفتوا  
للأرض التي عليها تقفون! كما أمريكا التي تنتملقها  
لتنصفنا ونراها في آخر كل جولة من جولات الداي  
والعربي أو عنان أو الإبراهيمي أو ديمستورا تقول لنا:  
عليكم بايران شاوروها! ولكن يا عمي يا أوباما إيران  
هي المشكلة من أولها لآخرها. يهمس لنا حراس  
أوباما: لا بد من إيران وإن طال السفر.

ما أخشاه على حالي وعلى غيري أن يصير معيار  
المواطنة عندنا هو الحقْد! خط الحقْد عملة جديدة  
في أسواقنا النفسية ويتلازم كالعادة مع التعصب  
ويتناسبان طريداً مع كم العدوانية التي راكمتها  
التجارب والمحن والويلات في ضمير الأمة. الحقْد على  
البشر والحجر وكل ما خلق الله من كائنات تبين أنه  
صممها على المهانة والذل، لماذا علينا دون أمم الكون  
أن نكون أذلاء؟ كل الفعاليات النّهاشة التي تلسع  
وتعض تعيش في بيتتنا الحاقدة، ما إن تصيح على  
واحدة حتى توافيك سلسلة من عجائب بهيمية خام  
تتداعى وراء بعضها من كره وسخط وقهر واحتقار  
لكل المعلقات القيمة التي بذلنا كل طاقتنا حتى  
صارت في تكويننا! نراها في كل يوم كيف تنكئ على  
مخزون ذاكرة لثيمة رعوية خائفة مرعوبة متجذرة في  
قاعنا المعتم. أنا لا أريد أن أكون حاقداً ولكنني قبل  
أن أقرر صرت!

وقد تطول فترة الرضوخ والغبن وتتفاعل من حيث  
لا نتبّه في سراديب النفس مع أحقاد نتشربها على  
مهل، ننفر من مذاقها في البداية ثم مع الفعس  
والطحن والدوس تصبح مستساغة وتتحول لسادية  
شبه مرضية تحن للكوارث والنوازل بالآخر منتظرين  
أن تحيق بالآخرين وبرزقهم وعباءات سماواتهم، وهي  
دون نقاش أو جدل علائم لا تمت للإنسانية ومدايلها في  
هذا العصر ولا حتى في العصور السابقة، مهما أوغلنا  
للوراء، ننتشي بالتوسلات وعذابات الخلق، يا للشهامة.  
لسنا أميين يمثل هذه الحمولة البدائية على حظوظ  
الناس. فرطنا بلامح إنسانيتنا المعلوفة على الغالي  
ونكصنا لقرون المغاور والغابات وهو حقنا في هذا  
العصر الداعر.

السادية فتاكة، وهي أحد التعبيرات للإنسانية الثاوية  
في النفس التي فقدت البوصلة وحل فيها الوباء،

## ملف الصور المسربة للمعتقلين المقتولين تحت التعذيب جريمة العصر المسكوت عنها دولياً

صفاء عليان

نشرت الجمعية السورية لحماية المفقودين ومعتقلي الرأي ٢٧٥٠ صورة لوجوه معتقلين قضاوا في سجون النظام السوري مأخوذة من مجموعة كبيرة تبلغ ٥٥ ألف صورة لحوالي ١١ ألف ضحية قضت تحت التعذيب، وسرب هذه الصور أحد المنشقين عن النظام السوري والذي عرف باسم «سيرز» أو قيصر.

هدف الجمعية من نشر الصور كان السماح لأهالي المعتقلين بالتعرف عليهم، فطلبت منهم التواصل معها لتوثيق أسمائهم وتواريخ اعتقالهم لدعم الملف الذي تعمل اللجنة على تجهيزه قانونياً للملاحقة أجهزة النظام السوري التي ارتكبت هذه الجريمة وفق آليات الملاحقة القانونية الدولية المتاحة، تفتح الغريال في هذا العدد ملف «قيصر»، لتبحث في طبيعة الملف والجرائم التي يوثقها وعمل الجمعية السورية للمفقودين ومعتقلي الرأي عليه ومدى إمكانية محاسبة النظام السوري على الجريمة التي سميت بجريمة العصر وأسباب تأخر محاسبته.



## عمل الجمعية على توثيق الجريمة

تأسست الجمعية السورية للمفقودين ومعتقلي الرأي، بعد انشقاق المدعو قيصر أواخر ٢٠١٣، والذي كان ضابطاً في الأمن السوري يعمل على تصوير جثث ضحايا التعذيب في مشفى «يوسف العظمة» العسكري المعروف باسم المشفى «٦٠١» العسكري، قبل نقلها ودفنها في مقابر جماعية مجهولة المكان أو حرقها للتخلص منها. واختصت الجمعية حسب ما يشرح أحد أعضائها الدكتور محمد عياش للغربال بالعمل على الملف حقوقياً وقضائياً، بوصفه جريمة حرب ضد الإنسانية، وتدين النظام السوري، لكنهم كما يقول «عياش» تأخروا بنشر الصور على مواقع الإنترنت بهدف التعرف على هويات الشهداء، لاستغراقهم وقتاً بجدولة الصور وأرشفتها وتوصيفها، حيث بلغ عددها ٥٥ ألف صورة لـ ١١ ألف معتقل قتلوا تحت التعذيب.

يضيف «عياش» إن الجمعية تأسست في فرنسا منذ سنة وخمسة أشهر، ويحاولون الحصول على ترخيص في تركيا، للمضي قدماً في الدعاوى القضائية التي رفعوها ضد قوات النظام السوري، مستفيدين من وجود عدد لا بأس به من ذوي الضحايا في تركيا، ومؤكداً على قطعهم شوطاً في طريق إدانة النظام، بعد تعرف عدد كبير من أهالي المعتقلين على صور أبنائهم الذين قضاوا تحت التعذيب.

## إجراءات قانونية لم تؤت أكلها

استشارت الجمعية السورية للمفقودين ومعتقلي الرأي محامين سوريين نصحوها بإيداع ملف الصور عند حكومة إحدى الدول الأوروبية، الأمر الذي يعطي الدعاوى القضائية الرامية لمحاسبة مرتكبي الجريمة مزيداً من الثقل عند المحاكم التي ستنظر بالملف، على عكس الحال حين تتعامل الدول مع أفراد، بدورها وضعت الجمعية ملف الصور عند دولة أوروبية، رفضت تسميتها، على شرط أن تقدم حكومة تلك الدولة ملف الصور لأربع جهات فقط في حال طلبها لدعوى قضائية وهي محكمة الجنايات الدولية، محكمة دولية خاصة بسوريا أو بهذه الجريمة، محكمة أوروبية صالحة للنظر في الدعوى، أو لمحاكم سورية مستقلة مستقبلاً تحترم معايير محاسبة مرتكبي جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية. وبلغت عضو الجمعية محمد عياش إلى أن تأكيد صحة الصور وتوثيقها، كانت الخطوة الأولى للمضي قدماً في القضية، وأن شركة «كارتر راك» البريطانية للمحاماة، التي تكفلت حكومة دولة قطر بتغطية تكاليف عملها المالية، أعطتهم وثيقة تثبت ذلك، لتبدأ بعدها الإجراءات القضائية في كل من بريطانيا وإسبانيا، موضحاً أن سبب تركيز العمل في هاتين الدولتين، لأن القضاء فيهما ينظر بقضايا أطرافها أجنبية.





أو الشخصي للمحاكم في دول أخرى كبعض الدول الأوروبية التي تنتظر محاكمها في دعاوى أطرافها أجنب، أو تنتظر محاكمها في دعاوى أحد أطرافها مزدوج الجنسية أي يحمل جنسية دولة المحكمة ودولة أخرى، يحتاج لأشخاص مزدوجي الجنسية لتأسيس الدعاوى عليهم لدى هذه المحاكم، إلا أن هذا حسب تعبيره انتصار للجنسيات وليس انتصار للإنسان السوري وإن اللجوء لهذا الأسلوب رغم أهميته خسارة لقيمة الإنسان المجردة وإن كانت انتصاراً لبعض الجنسيات التي يقر المجتمع الدولي لها بحقوق الإنسان.

### عائلات الضحايا بين نارين

كان ذوو ضحايا التعذيب في أفرع المخابرات السورية يعيشون على أمل خروج أبنائهم، فكانت الصور بالنسبة لهم، زلزالاً قوياً، قلب حياتهم رأساً على عقب، وأنهى الأمل القابع في قلوبهم، لتظهر عند بعضهم ردت فعل شاذة كـ«سلى» وهي إحدى زوجات المعتقلين، التي ترفض التسليم بموت زوجها معتقدة أن الصورة التي نشرت له في موقع شهداء التعذيب، تشبهه لكن ليست له، رافضة الرضوخ لواقع أليم، ومفضلة أن تبقى وأبناءها يعيشون حلم عودة والدهم القريبة.

انقسم السوريون عموماً بين مؤيد لنشر الصور للتثبت من مصير معتقل لن يعود، وبين معارض يخشى الأم لذوي المعتدبين، أحمد عليان، شقيق الشهيد خالد عليان، الذي اعتقل في أوائل عام ٢٠١٣ في داريا، ووجدت صورته مؤخراً بين صور قتلى التعذيب، يرى أن نشر الصور أفاد بمعرفة مصير الآلاف من المفقودين، كما أن هناك حقوق شرعية لعائلة الشهيد تثبت ممته كالإرث والنفقة وأمور الارتباط بالزوجة وغيرها، لكن النشر غير الواعي وتشبيه

يتابع «عياش» حديثه بالقول: إن العمل القضائي والقانوني يقتصر حالياً على المحاكم الوطنية المحلية، أما عن موضوع عرض الملف على محكمة الجنايات الدولية، فيوضح أن جهود الجمعية تصطدم بالفيتو الروسي- الصيني، في مجلس الأمن، ذلك أن محكمة الجنايات الدولية لا يمكن أن تنظر في دعوى متعلقة بجريمة مرتكبة في سوريا إلا في حال تحويل مجلس الأمن لملف الدعوى لها بسبب عدم توقيع حكومة النظام السوري على ميثاق روما الذي أسست بموجبه محكمة الجنايات الدولية، ويؤكد عياش أن الجمعية السورية للمفقودين ومعقلي الرأي تسعى عبر الجمعية العامة للأمم المتحدة لتشكيل محكمة جنائية خاصة بسوريا، كما حصل مع قضية جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت في سيراليون سابقاً.

### موقف الائتلاف السوري من الملف

وعن التعاون بين الجمعية السورية للمفقودين ومعقلي الرأي وبين الائتلاف الوطني السوري لقوى الثورة والمعارضة؛ اكتفى عضو الجمعية السورية للمفقودين ومعقلي الرأي محمد عياش بذكر أن الجمعية بصدد التوقيع على وثيقة تفاهم مع الائتلاف للاستفادة من الجانب السياسي للملف فقط معللاً ذلك بأن عمل الجمعية حقوقي إنساني بحث والاعتراف القانوني للملف حاصل دولياً.

لكن المستشار القانوني للائتلاف المحامي «عمار تباب»، يؤكد أن الجهود ستبقى منقوصة ما لم تتكلم بالتنسيق العام، معتبراً أن الجهد السياسي بحاجة لشرعية قانونية والقانوني بحاجة لشرعية سياسية، وأن طرفي مذكرة التفاهم قادرين على تبادل الجهود.

يضيف المستشار «تباب» إن استعمال الاختصاص العالمي



الصور المسربة تكشف حقد ووحشية غير مسبوقين  
لاشك أن زخم ملف الصور المسربة وعددها الكبير أفقد العاملين عليها القيمة الإنسانية للملف، وتحول المعتقل الذي قضى تحت التعذيب بالفعل إلى مجرد رقم، فتلك الأجساد المعذبة والتي تتراوح آثار التعذيب عليها من خلع العظام إلى فقء الأعين، مروراً بآثار الضرب و«الشبح»، قاسى أصحابها قبل وفاتهم هول التعذيب بحقد لم يعرف له التاريخ الحديث مثيلاً، الجثث التي عرضها ملف قيصر تعرضت للضرب والإهانات أيضاً من قبل الأطباء والممرضين وحتى مستخدمي النظافة في مشفى «يوسف العظمة» العسكري المعروفة بمشفى ٦٠١، حسب شهادة عنصر منشق كان يعمل هناك.

ويشير ذلك العنصر أثناء حديثه إلى بلوغ عناصر النظام السوري درجة الجنون والتوحش حيث قاموا بإحراق جثث الضحايا، وتحويلها إلى رماد بحسب ما روى له زملاؤه قبل انشقاقه، في إشارة منه إلى محاولة النظام السوري إخفاء كل أدلة تجريمه، غير أنه لم يتأكد من صحة الرواية بشكل شخصي بسبب التشديد الأمني. وكثرت شهادات المعتقلين السوريين المفرج عنهم عن ما قاسوه في أفرع المخابرات، مشددين على وجود عالم آخر من الظلمة والوحوش البشرية، تمتهن الإذلال والتعذيب، مستخدمة الضرب، والصعق بالكهرباء، والشبح، وتقنية الكرسي الألماني، ولم يوفر طريقة لتحقير المعتقلين، حتى أنهم وصلوا إلى وضع الصراير في الملابس والزنازين، ثم شهم بالمبيدات، التي تحوي مواداً كيميائية سامة.

الصور بغير خبرة، مشكلة حقيقية، ظهرت آثارها السيئة بعد نشر الملف حيث أقامت بعض العائلات العزاء على أبنائها بناء على صور تبين فيما بعد أنها تعود لمعتقلين آخرين!

ويضيف محمد عياش عضو الجمعية السورية للمفقودين ومعتقلي الرأي على ما قاله أحمد: إن نشر الصور كان مفيداً لإنهاء ابتزاز محامي النظام وأعوانه المالي لأهالي الضحايا، غير أبهين بأذية مشاعرهم ولا بالضييق المادي الذي يعانونه كما أغلب شرائح المجتمع السوري، منوهاً إلى أنه حتى الآن لم يتعرف السوريون سوى على بضع مئات من الصور، فيما بقي الآلاف مجهولي الهوية، أو يجري التعرف عليهم تبعاً.

ويسبب ما عاشه السوريون منذ انطلاق الثورة السورية من أحداث تشكل عند غالبيتهم مانع من الصدمات، وهذا ما نلمسه أمام ردادات فعل ذوي الضحايا عندما تلقوا أنباء مقتل أبنائهم، فاكتمى والد الشهيد خالد عليان وشقيق الشهيد أحمد جلال عليان، باحتساب ابنه وشقيقه شهيدين، وبالقول الله ولي الدم.

كذلك الأمر بالنسبة لعائلة أحد الضحايا من مدينة الزبداني، الذي تتحفظ الغربال على اسمه لضرورات أمن عائلته، لم يستغربوا ورود هذا الخبر، بسبب سماعهم العديد من الأنباء تفيد بمقتل غائبهم في أقبية المخابرات، أما أولاده فلم يعوا بعد معنى الموت والفقد، وأن أباهم لن يعود بسبب صغر سنهم!



من جلسة الاستماع التي ظهر فيها القيصر (بالأزرق) في الكونغرس الأمريكي

الجريمة مستمرة .. والصمت الدولي مستمر أيضاً  
ملف الصور المسربة الذي أحدث ضجة في الشارع الدولي، يبقى جزءاً بسيطاً من الجرائم التي ترتكب يومياً في سجون النظام السوري، لأن الصور التقطت في الفترة الممتدة بين عامي ٢٠١١ و ٢٠١٢، في حين يتوقع أن عدداً كبيراً من المعتقلين السوريين قضوا نتيجة التعذيب أو الجوع أو تفشي الأوبئة بأقبيّة أفرع المخابرات المختلفة في أرجاء سوريا في فترات لاحقة، في الوقت الذي يتجاهل فيه المجتمع الدولي ويتعمى عن كل هذه السادية التي يمارسها عناصر النظام السوري على أجساد ضعيفة ومكبلة، فيغض نظره عن آلاف الصور التي توضح للجميع مدى إجرام مؤسسات النظام السوري الأمنية والعسكرية.

هذا الصمت الدولي لم يختلف كثيراً عن الصمت الذي رافق ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية أثناء حروب أهلية اندلعت سابقاً في أفريقيا، وفي البوسنة والهرسك، وفي بورما وفي غيرها، لتصبح سوريا اليوم اسماً جديداً على قائمة طويلة من الدول التي ارتكبت فيها جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في ظل صمت المجتمع الدولي الذي تدخل سابقاً في معظم هذه الدول في النهاية وردع المجرمين وجرهم إلى محاكم دولية دون أن يفعل أي شيء في سوريا إلى اليوم.

إضافة إلى ما سبق فإن المعتقلين يُعرفون بأرقامهم، وأكثر ما يخشاه النظام والسجانون التابعون له، تناقل الأسماء، كما أن المعتذبين تحت الأرض، يهربون دخول المشافي، ولا يجروون مهماً بلغت جروحهم وآلامهم على طلب نقلهم إلى المشفى، لأن المشافي العسكرية التي يملكها النظام، تحولت لمسالخ، فلا يلقون فيها عناية طبية أو حتى عناية بالنظافة والتعقيم.

والجدير ذكره بحسب معتقل سابق نقل لمسلخ ٦٠١ حسب وصفه، لإصابته بخلع في الكتف، أن عناصر الأمن يشددون الحراسة على غرف المعتقلين الجرحى، ويقيدونهم بأسرتهم، لافتاً إلى وضع كل جريحين بسرير واحد، وأنه يموت المريض ولا يؤخذ جثمانه فوراً بل يبقى يوماً أو يومين في غرفة تعج بالمرضى، ما يدخل بعضهم في حالات هلوسة، وغياب مؤقت عن الوعي. وثمة الكثير من شهداء التعذيب الذين أظهرت صورهم أنهم قضوا بسبب الجوع، وصعب على أهلهم التعرف إليهم بسبب التغيرات الخطيرة التي طرأت على أجسادهم، وآخرين لقوا حتفهم بسبب حالات الفشل الكلوي، كحال الشهيد أحمد جلال عليان من مدينة داريا، حيث ظهر على وجهه انتفاخات ووذمات سببها قصور الكلى.



من معرض لبعض صور الضحايا أقيم في مبنى الأمم المتحدة في نيويورك

# سجن المزة العسكري

## بيت السياسيين السوريين، ومنتهى طموحاتهم

تحرير فريق الغريال

صغيرة غُلِّق على جدرانها بعض الشعارات «المرحبة» بالزوار من مثل: «أنا بعثٌ وليمتُ أعداؤه... عربي عربي عربي»، وأيضاً: «السجن: إصلاح، تهذيب، تقويم!» غالبية المهاجع والزنازين والغرف تخلو من أي جهاز تدفئة، ويقوم بخدمة المساجين وإطعامهم مجندون فارون من الخدمة العسكرية ومعتقلون، يعرفون باسم «البلديات».

### مستقر الحاكم والمحكوم

استخدم السجن لأغراض سياسية لأول مرة بعد الاستقلال من قبل حسني الزعيم، الذي قاد انقلاباً على السلطة الشرعية في البلاد ممثلة برئيس الجمهورية شكري القوتلي ورئيس حكومته خالد العظم بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٤٩، حيث اقتيد رئيس الوزراء إلى هذا السجن، وُجِّح في هذا السجن بالعشرات من معارضي الانقلاب الذي استمر ١٣٧ يوماً، فسجنت فيه قادة حزب الشعب والحزب الوطني، وميشيل عفلق، مؤسس حزب البعث، لتشاء الأقدار في أعقاب انقلاب سامي الحناوي على حكم حسني الزعيم،

على هضبة مرتفعة جداً، تحاذي الجبل الذي بُني عليه في بداية الثمانينات قصر الشعب المطل على مدينة دمشق؛ بنى الفرنسيون في عام ١٩٢٣ الطابق الأول من سجن المزة العسكري على أنقاض قلعة عثمانية. ليكون واحداً من أشهر السجون السورية، ومنتهى معظم السياسيين السوريين والعسكريين المعروفين والناشطين المدنيين والحقوقيين والأدباء والكتاب حتى بات اسمه لا يغيب عن أية حكاية من حكايات التاريخ السياسي السوري.

### الموقع والبناء

تحيط بهضبة السجن ثلاثة حواجز دائرية من الأسلاك الشائكة، ويتألف البناء من كتلتين تحوي كل منهما طبقتين اثنتين وتفصلهما ساحة السجن الداخلية. الكتلة الأولى تطل على مدينة دمشق وعلى الساحة الخارجية للسجن. وقبل ولوج البوابة الخارجية للسجن ثمة فسحة





الحميد السراج، سجن المزة على نحو واسع لترويع كل من كان يعتبره معادياً للنظام الناصري في الإقليم الشمالي. وكان في مقدمتهم كواد الحزب الشيوعي السوري اللبناني، وعلى رأسهم رياض الترك الذي أمضى في سجن المزة ما يزيد على السنة.

بعد الانفصال تم اقتياد السراج بدوره إلى سجن المزة، وما لبث أن تمكن من الهرب من السجن بمساعدة رئيس الحرس، حيث توجه إلى لبنان ومنها إلى القاهرة! وسرعان ما اختلف ضباط الانفصال مع رئيس الجمهورية ناظم القدسي ورئيس حكومته معروف الدواليبي، وقاموا بانقلابهم الثاني بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٦٢، وسجنوا في سجن المزة رئيس الحكومة وأعضاءها وعدداً كبيراً من النواب والشخصيات السياسية ومنهم: خالد العظم، رشدي كيخيا، لطفي الحفار، جلال السيد، مأمون الكزبري، مصطفى الزرقا، فيضي الآتاسي، عوض بركات، حنين صحنوي، سهيل الخوري. وإلى تلك الفترة يعود اعتقال بعض الضباط المقربين من البعث، وفي مقدمتهم صلاح جديد وحافظ الأسد، اللذان أوقفا في سجن المزة لفترة قصيرة لا تتجاوز الشهر. وسرعان ما خرج المعتقلون من المزة وعاد المدنيون إلى الحكم. لكن الأمر لم يستتب

أن يحاكم الزعيم أمام محكمة ميدانية عقدت في السجن، وأن يُنفذ فيه حكم الإعدام، مع رفيقه وساعده الأيمن محسن البرازي، في الباحة الخارجية للسجن!

وبتاريخ ١٩ كانون الأول ١٩٤٩ أطاح انقلاب على قيادة الجيش بالحناوي متهماً إياه بالتآمر مع العراق، وأدخل بدوره سجن المزة! لكن سرعان ما أُطلق سراحه بعد اعتراض العديد من النواب في المجلس التشريعي، ورُحِّل إلى بيروت حيث قضى فيها برصاصات أطلقها عليه أحد أقرباء محسن البرازي.

المفارقة أن منير العجلاني الذي كان أكثر النواب مهاجمة لهذا السجن، مشبهاً إياه بسجن «الباستيل» وواصفاً زنازينه بالمقابر التي يبلغ طولها متراً واحداً وعرضها بضعة سنتيمترات، ومطالباً بإصدار تشريع يحرم سجن المدنيين فيه؛ اعتقل هو الآخر في هذا السجن بعد ٦ سنوات حين اتهم مع شخصيات سياسية ونيابية وعسكرية أخرى بالتحضير لانقلاب على الحكم الديموقراطي في سوريا بالتنسيق مع السفارة العراقية في دمشق!

في ٢ كانون الأول ١٩٥١ قام العقيد أديب الشيشكلي بالانقلاب الرابع على حكومة حزب الشعب التي كان يرأسها معروف الدواليبي، دافعاً برئيس الجمهورية هاشم الآتاسي إلى الاستقالة احتجاجاً على تدخل الجيش في السياسة، وقد زج الشيشكلي برئيس الحكومة ومعظم أعضائها في سجن المزة، حيث أمضوا بين جدرانها ما يقارب السنة. وضاق هذا السجن، خصوصاً في الشهر الأخير من حكم العقيد، بمعظم قادة أحزاب المعارضة (٧٥ قيادياً منهم صبري العسلي، رشدي كيخيا، فيضي الآتاسي، علي بوظو، صلاح بيطار، ميشال عفلق) وبقيادة الحركة الطلابية من شيوعيين وبعثيين، وبضباط الجيش المقربين من هذه الأحزاب وفي مقدمتهم عدنان المالكي. ثم تم إطلاق سراحهم وعادت الحياة السياسية السورية إلى مجراها الشرعي، ولكن مع اغتيال العقيد عدنان المالكي المقرب من البعث؛ عاد التوتر مجدداً، حيث اتهم الحزب القومي السوري بتنفيذ عملية الاغتيال وصدر قرار بحله وأدخلت قياداته سجن المزة وفي مقدمتها عصام المحاييري، وإلى تلك الفترة تعود أولى محاولات الهروب الناجحة من سجن المزة، وهي حادثة هروب الضابط القومي السوري محمود نعمة.

في عهد الوحدة مع مصر (١٩٥٨-١٩٦١) استخدم عبد



صلاح جديد، نزع بالعديد من السياسيين في السجن  
وانتهت حياته به في عهد حافظ الأسد

الأسد هي الأطول في تاريخ السجن، ويعتبر الضابط مصطفى فلاح، وكان مؤيداً لبعث العراق، السجين السياسي الذي أمضى أطول فترة اعتقال في المزة (٢٧ عاماً). وقد شهدت فترة حكمه وخصوصاً في حقبة الثمانينات دخول أعداد كبيرة ومتنوعة المشارب من السجناء السياسيين، فكان هناك الشيوعيون والأخوان المسلمون والبعثيون وغيرهم من التيارات السياسية السورية المعارضة، بالإضافة إلى أعداد كبيرة من اللبنانيين والفلسطينيين. وأجريت في تلك الفترة، داخل السجن، محاكم ميدانية للعناصر التي اتهمت بتنفيذ أعمال تخريبية وعمليات اغتيال وقتل، ونفذت أحكام شنع وإعدام داخل أسواره. كما دخله عدد من أبرز قيادات الإخوان المسلمين، ومنهم مروان حديد، وتوفي فيه عام ١٩٧٧، والشيخ سعيد حوا، قبل أن يطلق سراحه ويغادر إلى الأردن. واستمر السجن باستقبال الناشطين والمفكرين والحقوقيين والأدباء، حتى أعلن في ١٣ أيلول ٢٠٠٠، عن إغلاقه بعد نقل نزلائه إلى سجون أخرى، وتم الترويج إلى أنه صدر قرار بتحويله إلى معهد للتاريخ أو متحف، فيما ذهب آخرون إلى أنه تمت السيطرة عليه من قبل ماهر الأسد، الذي حوَّله إلى استراحة خاصة به، ويدعمون كلامهم هذا باستمرار التشديد الأمني حوله، ومنع الاقتراب منه!

طويلاً للمدنيين وما هي إلا شهور حتى قام انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ بتنسيق بين الضباط البعثيين والناصريين تحت شعار إعادة الوحدة بين سوريا ومصر. وكما جرت العادة بعد كل انقلاب، اعتقل رئيس الجمهورية وطاقم حكمه وسجنوا في سجن المزة، ليغادره حراً في بداية شهر أيار. لكن ضيوفاً جديداً حلوا على السجن، وهم في غالبيتهم من الناصريين الذين تقاتلوا دمويّاً مع زملائهم البعثيين خلال أحداث ١٨ تموز ١٩٦٣، بعدما تبين لهم أن البعثيين لم يكن هدفهم من الانقلاب إعادة تحقيق الوحدة مع مصر!

وبعدما استتب الحكم لحزب البعث، بدأ الإخوة الأعداء من البعثيين بالتقاتل والتناحر في ما بينهم، وأنهى ذلك انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ بإزاحة القيادة التاريخية لحزب البعث ممثلة بميشال عفلق وصلاح البيطار لصالح القيادة القطرية للحزب، وأدخل على إثر هذه الحركة التي قادها اللواء صلاح جديد، كل من أمين الحافظ ومحمد عمران برفقة عدد من أنصارهما إلى سجن المزة، وفي تلك الفترة أعدم داخل السجن الضابط سليم حاطوم الذي كان سبق له أن قاد تمرداً عسكرياً في جبل العرب، فرّ على إثره إلى الأردن ليعود ويدخل سوريا من جديد في بداية حرب حزيران.

ومن المفارقات الغريبة في تاريخ هذا السجن أن مديره في نهاية الستينات الضابط نعيم خوري اتهم بالتعاطف مع سليم حاطوم فعُزل من منصبه وأعيد إلى السجن سجيناً، حيث أمضى فيه ما يقارب العام!

### مع حافظ الأسد أصبح السجن أبدياً

مع انقلاب اللواء حافظ الأسد على قيادة الجيل الثاني من البعث، أدخل جميع أعضاء القيادة القطرية إلى سجن المزة وفي مقدمتهم الدكتور نور الدين الأناسي رئيس الدولة، واللواء صلاح جديد الأمين العام المساعد والدكتور يوسف زعين رئيس مجلس الوزراء الأسبق. وأمضى الأول ٢٢ عاماً في السجن، أصيب في نهايتها بمرض السرطان وأُفرج عنه قبل شهرين من وفاته، أما الدكتور زعين فخرج من السجن بعد عشر سنوات إثر إصابته بمرض عضال، في حين توفي صلاح جديد في سجن المزة بعد ٢٣ عاماً من الاعتقال دون محاكمة! وتعتبر مدد الاعتقال التي شهدتها السجن في عهد حافظ

## حوار مع الأمين العام للائتلاف السوري المعارض الأستاذ محمد يحيى مكتبي

حاوره رامي سويد



يشغل الأستاذ محمد يحيى مكتبي منصب الأمين العام للائتلاف السوري المعارض منذ مطلع العام الحالي كممثل عن كتلة المجلس الوطني السوري في الائتلاف، وهو من أبناء مدينة دمشق ويبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاماً، ويحمل إجازة في العلوم الطبيعية من جامعة دمشق، وقد شغل سابقاً مناصب إدارية في شركات خاصة قبل أن يصبح عضواً في مجلس قيادة الثورة في دمشق ومن ثم عضواً في المجلس الوطني السوري ليصبح ممثلاً عن المجلس في الائتلاف مؤخراً.

والوضع المالي الحرج الذي يمر به الائتلاف والحكومة السورية المؤقتة يجعل عمل هاتين المؤسساتين في حالة تعثر كبير جداً فلا تستطيع هاتين المؤسساتين أن تؤديا الواجبات المطلوبة منهما.

ما هي أبرز العوائق التي حالت إلى الآن دون حصول الائتلاف على حق التصرف في الأموال السورية المجمدة؟  
نال الائتلاف السوري بعد تشكيله بفترة قصيرة اعترافاً من مئة وأربعة عشر دولة بوصفه ممثلاً سياسياً للشعب السوري، لم يكن هذا الاعتراف قانونياً بل كان سياسياً، الاعتراف القانوني بالائتلاف السوري كممثل للشعب والدولة السورية هو ما يسمح للائتلاف باستلام مقعد سوريا في الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، وبالتالي يصبح الائتلاف هيئة رسمية يمكن للدول التي يوجد فيها أرصدة سورية مجمدة أن تتعاطى معها، وتجاوز هذا المعوق الرئيسي يحتاج الانتظار حتى تعترف الدول

انتشرت أخبار في الأيام الأخيرة حول سعي الائتلاف إلى استعادة أموال الدولة السورية المجمدة في حسابات بنكية في الدول الداعمة للثورة السورية، وذلك بعد وقوع الائتلاف في أزمة مالية، ما هي أبرز مساعي الائتلاف للحصول على هذه الأموال وما هي فرص تحقيق هذا الأمر؟

منذ تشكيل الائتلاف كانت هناك لجنة قانونية تابعة له كان لها مهمتين رئيسيتين، المهمة الأولى كانت إعداد ملف لمرتكبي جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في سوريا بهدف تحضيره ليقدم لمحكمة الجنايات الدولية، والمهمة الثانية هي متابعة ملف أموال الدولة السورية التي نهبها النظام السوري من الشعب سابقاً بهدف استرداد هذه الأموال، قامت اللجنة القانونية بعمل كبير في هذا السياق، لكن معوقات قانونية كثيرة حالت إلى الآن دون تمكن الائتلاف من استعادة أرصدة الدولة السورية المجمدة، ما أدى إلى تأخير تنفيذ ذلك إلى اليوم.

أثناء اجتماع القمة العربية طلب مجلس حقوق الإنسان التابع للجامعة العربية من مؤتمر القمة أن يدرج قبول جوازات السفر المنتهية الصلاحية في الدول العربية هل تم مناقشة هذا الطلب ومن ثم تم رفضه أم أنه لم يناقش أصلاً؟

في الحقيقة قدّم مجلس حقوق الإنسان هذا المقترح لكن للأسف الشديد نتيجة اعتراضات بعض الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية لم يتم مناقشة هذا الأمر في اجتماع القمة العربية مع أن هذا الأمر لو أقر كان من الممكن أن يفتح بوابة لحل أزمة مئات الآلاف من السوريين الذين يبتزهم النظام إلى اليوم بعد أن هجرهم عن طريق التحكم في إصدار جوازات السفر.

أصدرت الحكومة السورية المؤقتة بياناً بعد تحرير مدينة إدلب أعلنت فيه عن نيتها لنقل مكاتبها إلى مدينة إدلب، هل تم تنفيذ شيء في هذا السياق؟ هذه الخطوة هي مآل طبيعي للاتلاف والحكومة المؤقتة، ذلك أن الأصل أن يعمل كل منهما من الداخل السوري المحرر، لكن نتيجة الظروف الصعبة التي نعاني منها ونتيجة سماح النظام السوري لداعش بالتمدد في المناطق التي تم تحريرها لم تتمكن من نقل مكاتبها إلى الداخل السوري المحرر إلى الآن، على الرغم من وجود خطة طرحها الائتلاف منذ ثمانية أشهر للعودة إلى سوريا، وجرى الحديث مع الدول الشقيقة والصديقة بخصوص تنفيذ منطقة حظر جوي في المناطق المحررة في شمال وجنوب سوريا، كان هذا الأمر سيعطي المجال

بالائتلاف كممثل قانوني للشعب والدولة السورية.

هل ثمة محاولات لتجاوز الأزمة المالية التي يمر بها الائتلاف بعيداً عن قضية استعادة الأرصد السورية المجمدة؟

لدينا وعود من أطراف من أشقائنا العرب بتقديم دعم مالي في فترة قريبة جداً لتجاوز الأزمة المالية الخانقة التي يمر بها الائتلاف والحكومة السورية المؤقتة.

في الفترة الأخيرة حصل لغط كبير حول إمكانية إصدار الائتلاف لجوازات سفر للسوريين أو وثائق أخرى تمكنهم من التنقل بحرية بعيداً عن تحكم النظام السوري بإصدار وتهديد جوازات سفرهم، هل هناك جديد في هذا الملف؟

لدينا خيبة أمل من حالة الترهّل في موقف المجتمع الدولي في مقابل وجود دعم لا محدود ومستمر من قبل روسيا وإيران لنظام الإجرام في دمشق، للأسف المجتمع الدولي إلى الآن يعامل المعارضة السورية على طريقة لا تموت ولا تحيا أي لا تنتصر ولا تهزم، نحن نتابع موضوع إصدار جوازات سفر للسوريين بكل السبل المتاحة لكن الأمر مرتبط بقرار دولي بالاعتراف القانوني بالائتلاف كممثل شرعي للشعب السوري وهذا الأمر غير متوفر إلى اليوم للأسف.

الملف في حالة مراوحة في المكان، وليس هناك أي تقدّم له معنى، ونحن نعول على ضغوط يمكن أن يمارسها بعض الأشقاء والأصدقاء ليمتكن الائتلاف من إصدار وثائق السفر التي ستسهم بتسهيل حياة السوريين.





الأمر هو عبارة عن حوار من أجل الحوار، مع أن الوقت بالنسبة للسوريين يساوي الدم حالياً، فلا يمكن أن نجلس إلى طاولة مفاوضات فقط لأجل التقاط الصور وجس النبض، يجب أن يكون هنالك إرادة حقيقية لإيقاف حمام الدم في سوريا.

وشاهد الجميع كيف فشل موسكو واحد وموسكو اثنين على الرغم من سعي الحاضرين إلى إظهار أنه حصل إنجاز في النهاية من خلال الورقة التي تم التوقيع عليها، لأن وفد النظام لا يريد إلا أن يرى الأمور بعينه العوراء ولا يكثرث أبداً بالمطالب السياسية الحقيقية للشعب السوري، فالشعب طالب بتغيير حالة ديكتاتورية استبدادية قمعية مارست كل أنواع السادية والإجرام ضد الشعب السوري، والآن هناك من يحاول الالتفاف على هذا الأمر بتسخيف المسألة وجعلها كأنها عبارة عن اقتسام ما بين المعارضة والنظام على كراسي الحكومة وهذا أمر بعيد تماماً عن مطالب الشعب السوري.

وهنا أريد أن أوضح أمراً، نحن في الائتلاف لا نهدف لأن نكون بديلاً عن النظام فلا يمكن بحال من الأحوال أن يقبل الشعب الذي خرج ضد نظام الأسد بوجود طرف آخر يجثم على صدره من جديد، نحن نهدف إلى مساعدة شعبنا على تحقيق خياراته ليصنع مستقبله بيده وتنتهي مهمتنا عندما نصل إلى حال يعبر فيه الشعب السوري عن إرادته بطريقة حرة ويختار من يعتقد أنه يستحق أن يكون في خدمته.

**ما هو موقف الائتلاف من قضية المفاوضات بشكل عام؟**

نحن متمسكون بمرجعية بيان جينيف واحد، لأنها هي التي تحقق الحد الأدنى من تطلعات الشعب السوري، البيان الذي تضمّن تشكيل جسم انتقالي في سوريا

ليس فقط لعودة الائتلاف والحكومة المؤقتة إلى سوريا وإنما لعودة الكثير من أهلنا الذين اضطروا إلى النزوح نحو دول الجوار بسبب قصف قوات النظام السوري للمناطق المحررة وبالتالي سيؤدي هذا الأمر لتخفيف ضغط عدد اللاجئين السوريين المتزايد في دول الجوار. الانتقال إلى إدلب هدف استراتيجي بالنسبة لنا، ونحن نحاول ترتيب هذا الأمر مع أهلنا في إدلب، وربما تتم عملية الانتقال إلى الداخل المحرر على مراحل بالاتفاق مع القوى الفاعلة في إدلب حتى نصل إلى الانتقال الكامل إلى الداخل المحرر.

**ما هي العوائق التي تحول دون انتقال مؤسسات المعارضة إلى الداخل؟**

هناك عوائق لوجستية كضعف التمويل، فالهدف من الانتقال ليس فقط انتقال الحكومة للداخل وإنما قيام الحكومة بواجباتها تجاه السكان في المناطق المحررة، بالإضافة للمشاكل الأمنية وعدم وجود حظر جوي يمكن الحكومة من بناء مؤسسات تقدم خدمات للسوريين في المناطق المحررة.

لدينا تواصل مع جميع القوى الفاعلة في إدلب ونجري مشاورات معها لترتب آليات انتقالنا إلى الداخل.

**إلى أين وصلت جهود الأستاذ هيثم المالح رئيس اللجنة القانونية في الائتلاف بخصوص عرض ملف صور «قيصر» الخاصة بالمعتقلين على محكمة الجنايات الدولية؟**

الملفات القانونية مرتبطة ببعضها ولا يمكن إحراز تقدم ملموس بخصوص أي منها إلا إذا وجدت الإرادة السياسية لدى الدول الصديقة للشعب السوري، هناك العديد من الهيئات واللجان القانونية من بينها اللجنة القانونية في الائتلاف تعمل على ملف المعتقلين الذين استشهدوا تحت التعذيب والمعتقلين الذين ما زالوا يعانون إلى اليوم في سجون النظام من ظروف كارثية، لكن عرض هذه الملفات على محكمة الجنايات الدولية يحتاج إلى غطاء سياسي غير متوفر حتى الآن للأسف الشديد.

ما هو سبب رفض الائتلاف السوري حضور مؤتمر موسكو الذي دعت إليه الحكومة الروسية مؤخراً؟ الدعوة الروسية حملت بذور فشل المؤتمر فلم يكن هناك أي جدول زمني واضح، ولم تحدد نقاط ليتم بحثها، ولم يكن هناك أي مرجعية للتفاوض ولا أي ضمانات وكان



ليست غريبة عنه، منذ الأيام الأولى للثورة أطلق النظام السوري شعار الأسد أو نحرق البلد، وهذا الشعار منسجم تماماً مع سياسة الإجرام التي يطبقها النظام السوري والتي تحمل رسالة مقادها إما أن أحكمكم وإما أن أبيدكم.

هناك مفارقة كبيرة جداً بخصوص قصف إدلب، فقبل تحرير إدلب كان النظام السوري يدعي أن كل الشعب الموجود في مدينة إدلب معه، والآن تقوم آلة النظام العسكرية بإمطار الشعب نفسه بالبراميل المتفجرة والصواريخ الفراغية ليقتلهم ويقضي على ممتلكاتهم. الأمر المستغرب الذي نوصله إلى جميع الأوساط الدبلوماسية هو هذا الصمت المريب للمجتمع الدولي وهو يرى ويسمع ما يحصل في سوريا ويعلم تماماً مدى إجرام النظام السوري، الأمر لا يحتاج إلى أكثر من قرار بتطبيق منطقة حظر جوي في سوريا والنظام أجبن وأخس من أن يقف في وجه تهديدات حقيقية من المجتمع الدولي، لكن المجتمع الدولي ما يزال يسلك إلى اليوم سلوك المتفرج، نحن نقدم بشكل مستمر مذكرات للأمم المتحدة وسفراء الدول المعنية بالملف السوري.

لدينا إحصائية من منظمة حقوقية تفيد أن النظام السوري خرق القرار رقم ٢٢٠٩ الخاص بحظر استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا والصادر من مجلس الأمن تحت البند السابع لتسع مرات حتى الآن باستخدامه غاز الكلور دون أن يفعل المجتمع الدولي شيئاً، فالنظام يمارس عريضة سياسية وعسكرية غير آبه بأي شيء في ظل صمت مريب من المجتمع الدولي.

بصلاحيات تنفيذية كاملة بما فيه التحكم بقوات الجيش والأمن، إن أي خروج عن هذا الإجراء هو عبارة عن إعادة تأهيل لنظام الأسد تحت مسميات أخرى وهذا ما لا يمكن قبوله بحال من الأحوال.

من المنطق ألا يقبل السوريون بعد الآن بأقل من محاكمة مجرم حرب تزعم عصابة مافيا قتلت من السوريين مئتين وخمسين ألفاً وشردت إلى خارج سوريا ثلاثة ملايين وشردت داخل سوريا سبعة ملايين آخرين، وجعلت نصف الشعب السوري بحاجة إلى مساعدات إنسانية، بعد أن دمرت ثلاثة ملايين منزل في سوريا، المكان الطبيعي لبشار الأسد بعد كل ذلك هو خلف القضبان في محاكم الجنايات الدولية أو في المحاكم الوطنية لينال جزاء ما اقترفت يده من جرائم حرب وجرائم إبادة ضد الشعب السوري.

**هل هناك ارتباط بين التحركات السياسية التي تشهدها المنطقة وبين تقدم قوات الثوار على الأرض في شمال سوريا وجنوبها؟**

التغيرات الكبيرة التي حصلت مؤخراً تحتاج إلى مشاورات مكثفة خصوصاً بعد تحرير إدلب وإفشال مخططات النظام الرامية لحصار حلب والانتصار في بصرى الشام ومعبر نصيب في درعا، على هذا الأساس كان جزء كبير من المشاورات الإقليمية التي جرت مؤخراً متمحوراً حول الملف السوري، من أجل تفعيل خطوات عملية لتحريك ملف عملية التسوية السياسية في سوريا.

الملف السوري في النهاية مرتبط بجميع الملفات الساخنة في المنطقة وعلى رأسها حالياً الملف اليمني، حيث تحتل إيران سوريا بشكل مباشر مع مؤازرة مليشيا حزب الله والمليشيات الطائفية العراقية والأفغانية وغيرها للنظام المجرم في حرب الإبادة التي يشنها ضد الشعب السوري. المشاورات المستمرة بيننا وبين الأشقاء والأصدقاء ستفضي بالتأكيد إلى خطوات ملموسة، ونحن نأمل أن نتحقق نتائج ملموسة لهذه المشاورات في وقت قريب.

**هل اتخذ الائتلاف أي خطوات إزاء القصف الذي بدأ النظام السوري بشنه على مدينة إدلب ومدينة حلب مؤخراً؟**

العمليات المسعورة التي يقوم بها طيران النظام السوري

## مدينة بصرى الشام.. قلعة الأمجاد السورية

سمر العمر

يعمل معظم السكان بالزراعة التي تعدّ أهم مورد لهم، وأغلب الفلاحين يستثمرون أرضهم مباشرة بسبب ضآلة الملكية، وتعتمد الزراعة اعتماداً أساسياً على مياه الأمطار. والمحاصيل الزراعية بعليّة ومحدودة وأهمها: القمح والشعير والزيتون والعنب، كما يُعنى الفلاحون بتربية الماشية. ويعمل بعض سكانها في مهن صناعية محلية، أهمها النجارة والحدادة ونسيج البسط الشهير في بصرى.

تعني كلمة بصرى في الكتابات السامية القديمة الحصن، وكانت أولى مدن الأنباط في القرن الثاني قبل الميلاد وكان اسمها «بوحورا» وهي نفسها «بوسترا» الهلنستية و«نيو تراجانا بوسترا» عاصمة الولاية العربية للإمبراطورية الرومانية أيام الإمبراطور «تراجان» الذي بُني في فترة حكمه مدرج بصرى الروماني الشهير وتذكر كتب التاريخ أن من خطط المدرج وأشرف على بنائه هو «أبولودور» المعماري البقري الدمشقي.

بصرى هي مدينة الراهب بحيرا الذي تنبأ لمحمد (صلى الله عليه وسلم) بالنبوة حين اجتمع به وهو طفل يبلغ ١٢ عاماً أثناء قدومه مع عمه إلى بلاد الشام في قافلة تجارية، وهي المدينة التي خرج منها الإمبراطور الروماني فيليب الأول، وهي مدينة المؤرخ والعالم الجليل «ابن كثير».

حرر ثوار حوران بصرى مؤخراً بعد معارك طاحنة استطاعوا فيها إعادة المدينة إلى أهلها ليحتفلوا في مدرجها التاريخي بأهزوجة «الهجيني» الحورانية لتصبح في المكان مستفيدة من تصميم «أبولودور» الدمشقي مخترع هندسة الصوت والضوء في مدرج بصرى الروماني.

حين رأيت صورة ذلك النائر السوري وهو ينظر إلى السماء في قلب المدرج الروماني في مدينة بصرى الشام بريف درعا بعد أن حررها الثوار خيل لي أنه ذلك المصارع الذي قضى على الوحوش التي أطلقت لقتله أمام العالم المتفرج على مذبحه الشعب السوري! استعدت حين شاهدت الصورة كل ما قرأت عن الملاحم الخالدة التي انتصر فيها المظلوم على الظالم، كانت ملحمة بصرى الشام ملحمة جديدة سطر بها الثائرون سطوراً جديداً في حكاية المجد التي شهدتها مدينة بصرى الشام عبر العصور.

تقع مدينة بصرى في محافظة درعا وتبعد عن مدينة دمشق ١٤٠ كم وعن مدينة درعا ٤٠ كم شرقاً وترتفع عن سطح البحر ٨٥٠ متراً، المخطط العام للمدينة يوناني-روماني، مستطيل الشكل، تتعامد فيه الشوارع المتقاطعة، لتأخذ المدينة شكل المخطط الشطرنجي.

تعد بصرى الشام، من أهم المدن الأثرية الرومانية في العالم، وهي مصنفة ضمن قائمة اليونسكو لمواقع التراث العالمي. كانت عاصمة دينية ومركزاً تجارياً مهماً وممرّاً على طريق الحرير.

بلغ تعداد سكانها مؤخراً أكثر من أربعين ألف نسمة، وفي السنوات السابقة للثورة انتقل قسم كبير من سكانها لمدينة دمشق، حيث يشتغلون عمالاً عاديين أو موظفين في مؤسسات الدولة ودوائرها، كما بات يعمل قسم منهم في دول الخليج العربي.



## الخبز الأسود غذاء السوريين الجديد

محمد عثمان



بدأ ظهور «الخبز الأسود» في سوريا، خصوصاً في حلب واللاذقية، منذ نحو شهر مع ازدياد عدد المواطنين المنتظرين في الطوابير أمام الأفران للحصول على ربطات الخبز التي يحتاجونها بسبب انخفاض في كميات الإنتاج الذي نتج بحسب مصادر مقربة من مؤسسات النظام السوري بسبب عدم توفر الخميرة الطرية التي تدخل كمكون أساسي في صناعة رغيف الخبز، واعتقد السوريون وقتها أن الأمر مجرد أزمة طارئة يمكن أن تحلّ جزئياً فيما بعد، حالها كحال المواد الأساسية الأخرى التي مرت عليها ظروف مشابهة كالمازوت والبنزين والغاز، لكن آمالهم تلاشت تدريجياً مع استمرار الأفران الحكومية بتقديم الخبز الأسود للمواطنين.

### مواصفات رديئة لرغيف الخبز الأسود

هشاشة الرغيف واسمرار لونه إضافة إلى تجفافه وعدم القدرة على الاحتفاظ به لأكثر من يوم واحد تعتبر من المواصفات الأساسية للرغيف الجديد الذي لا يجد فيه السوريون أية ميزة إيجابية حيث يؤكد «مازن» وهو أحد سكان مدينة اللاذقية أن الطعم الحامض يظهر بسرعة في الرغيف في حال لم يتم استهلاكه قبل نهاية اليوم الذي تم شراؤه به كما أن لفه كصندوش للأولاد لتناوله في المدرسة بات مستحيلاً على الأمهات نظراً لتكسره وعدم قدرة الأطفال على استساغة طعمه.

«توجهنا لشراء الخبز السياحي رغم ارتفاع سعره» يقول «مؤيد» وهو رب أسرة من مدينة اللاذقية، ثم يبيّن أنه يدفع يومياً ١٢٥ ليرة سورية لشراء كيلو من الخبز السياحي خصصها لتزويد الأولاد بطعام المدرسة لافتاً إلى أن الأمر بات يحتاج ميزانية مستقلة تزيد من عبء المصاريف اليومية الملقاة على عاتقه.

مصادر في مديريات تابعة لوزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك أكدت أن عدداً كبيراً من دول العالم تنتج هذا النوع من الخبز الشعبي كما يسمى! ولعل مصر

أبرز الدول العربية المصنعة له لكن ظروف تصنيعه الصعبة في سوريا بعد خمس سنوات من الأزمة على حد قولهم تعود للحصار وتراجع إنتاج القمح وفقدان النظام السوري للسيطرة على معظم صوامع القمح في البلاد إضافة إلى الحصار الاقتصادي وغيرها من الحجج التي بات المؤيدون للنظام السوري أنفسهم يسخرون منها خاصة بعد محاولة حكومة النظام الترويج لفوائد الخبز الأسمر والنخالة الموجودة فيه للحفاظ على صحة الإنسان مع عدم اعترافهم الصريح بذهاب الرغيف الذي اعتاد عليه السوريون إلى غير رجعة.

طرات على الخبز وتوجه الناس لشراء الخبز السياحي اضطرت الأفران الخاصة لرفع سعره مما جعل الناس تعود على مضض إلى الأفران الحكومية التي تعاني العديد من المشاكل لاسيما المعاملة السيئة مع الناس ودفعهم لشراء خبزهم من بسطات غير نظامية موجودة بجانب الأفران عائدة لأشخاص متفقين مع عمال الفرن أنفسهم لتقاسم أرباح مبيع ربطات الفرن بأسعار أعلى مما هو متعارف عليه ناهيك عن أن السعر المباع بالأفران مختلف عن السعر النظامي المقرر بحدود ٣٥ ليرة للربطة الواحدة والتي لم تلتزم بها الأفران وحددتها بخمسين ليرة.

### حجج ومبررات

حجة مؤسسات النظام الأولى كانت نفاذ الخميرة الطرية المصنعة محلياً وعدم القدرة على استبدال مقر عملها الكائن في حمص بـ مكان آخر أكثر أماناً، فلبجاً النظام لاستيراد هذه المادة إما من الصين أو إيران والتي جاءت بقوام جاف ساهم بشكل كبير بتراجع جودة الرغيف. أما الحجة الثانية فتعود إلى ارتفاع نسبة الاستخراج في

### انخفاض الاستهلاك الأبرز

مصادر متعددة في مؤسسات النظام السوري أشارت إلى انخفاض استهلاك كميات الخبز المنتج في الأفران الحكومية بشكل يومي وأعادت الأمر إلى عدم قدرة المستهلكين على التأقلم مع مواصفات الخبز الجديدة لكن ملهم الأحمد الناشط المعارض في اللاذقية أشار إلى تملل الناس من نوعية الخبز المنتج ومحاولتهم إيجاد بدائل معقولة كالاعتماد على خبز «الصمّون» أو الخبز السياحي الأبيض المنتج في أفران خاصة منوهاً إلى أن هذه البدائل غير كافية إطلاقاً نظراً لارتفاع أسعارها وعدم قدرتها على سد حاجات الأسرة اليومية لاسيما كبيرة العدد.

«ثمانية أرغفة بسعر خمسين ليرة لن تكفي أسرة مكونة من خمسة أشخاص يحتاج كل منهم ثلاثة أرغفة كحد أدنى» يقول ملهم مضيفاً: إن سعر الربطة الواحدة قد ارتفع تدريجياً ليصل إلى ٥٠ ليرة سورية مقابل انخفاض الجودة ناهيك عن العناء الطويل الذي يتكبده كل فرد لشراء ربطة خبز واحدة أو اثنتين بعد انتظار طويل. ويتابع قائلاً: اعتادت العديد من الأسر شراء كميات كبيرة من الخبز تكفيهم عدة أيام لكن بعد التطورات التي



توقف نظراً لصعوبة النقل وتأمين الحمولات على الطرقات وتعرض العديد منها للسرقة والنهب.

### مهموم إضافية على المواطنين

لا يمكن القول إن هذه المؤشرات تعتبر بداية النهاية للنظام بقدر ماهي بداية النهاية للسوريين أنفسهم الذين يعتمد معظمهم في قوته اليومي على الخبز كعنصر رئيسي للطعام، فالعائلات المتواضعة تكثر من تناوله للإحساس بالشبع، كما أن سعره كان مقبولاً لعدد كبير منهم حتى مرحلة قريبة لكن النظام يرفض حتى الآن تقييم تجربة الرغيف الجديد بحجة حادثة الأمر والتأني في الوقوف على رد فعل المواطنين بشكل واضح وموضوعي، لذلك تجده منتظراً نجاح التجربة أو فشلها لتفعيل بدائل أخرى يعلم السوريون بشكل جيد أنها غير موجودة.



الدقيق من ٨٠٪ إلى ٩٥٪ لتشمل بذلك قشور القمح التي باتت تظهر بشكل واضح عند فتح الرغيف مما أثر على لونه إضافة لارتباط عجن هذا الدقيق بازدياد الحاجة إلى الخميرة ليخرج الرغيف بشكل مقبول نسبياً، لكن عدم توفر الخميرة الطرية واستبدالها بالجافة سبب هذه المهمة لتصبح أقرب إلى المستحيل وليصل رغيف الخبز الذي تقدمه الأفران الحكومية في مناطق سيطرة النظام السوري في مدينتي اللاذقية وحلب إلى درجة من الرداءة لم يصل إليها سابقاً.

### توفير نفقات

تقول الأخبار المتداولة في أروقة الجهات المسؤولة عن هذا القرار: إن العملية وفرت على النظام ١٥ بالمئة من كلفة إنتاج الخبز الذي بقي حتى الآن مدعوماً من قبلهم ولم يشمل رفع الدعم الذي لحق بالمازوت مؤخراً، فبعد خروج عدد من صوامع الحبوب عن التخزين ووجود عدد هائل من النازحين في أماكن سيطرته بات الطلب على الطحين مضاعفاً بشكل كبير مما استدعى من النظام استيراد حمولات كبيرة من الحبوب مخصصة للاذقية وحدها، حُرِّت في صوامع جبلية وصوامع قب العوامية وفي صوامع مطاحن اللاذقية الثلاث والتي تستوعب ما يزيد عن ٤٠٠ ألف طن من الحبوب معللاً الأمر بدعم المخزون الاستراتيجي الذي يكفي لعام ونصف العام لكن إشاعات كثيرة روجت عن نفاذ هذا المخزون الذي يتغنى به النظام بسبب خروج عدد كبير من الصوامع التي تتبع للمؤسسة العامة للحبوب في مختلف المحافظات عن السيطرة وعدم قدرته على تغطيته موضوع الدعم للرغيف والذي بدأت بواده بالتراجع المفاجئ في ميزاته. ورغم إطلاق العمل في مطحنة جبلية عام ٢٠١٢ لتوفير الأموال على النظام لقاء طحن الحبوب لدى المطاحن الخاصة؛ إلا أن سير العمل فيها يعاني العديد من المشكلات كتوفير الطاقة الكهربائية اللازمة للعمل في ظل الانقطاع الطويل للتيار الكهربائي وعدم وجود مخصصات من المحروقات تكفي لتشغيل الآلات، إضافة للتوقف عن سد احتياجات المحافظات الأخرى التي خرجت مطاحنها عن العمل بعد أن كانت مطحنة جبلية تورد لها حوالي ٢٠٠ طن يومياً من إنتاجها الفائض إلا أن هذا التوريد

## العمل التطوعي فرصة أبناء سوريا لاكتشاف أنفسهم

سما الإبراهيم

ومع توسّع نشاط الجمعيات الخيرية ودخول المنظمات الإنسانية للمجتمع السوري لتشمل مختلف جوانب الدعم من إغاثة ودعم نفسي وتنمية بشرية؛ ازدادت الحاجة للكوادر البشرية المتطوعة، وبدأ السوريون العمل في أطر جديدة بعيدة كل البعد عن مجالاتهم التخصصية، لتبدأ رحلتهم في اكتشاف ذاتهم.

فبعد أن كنا ندخل اختصاصاً اعتماداً على عوامل مختلفة كمجموع درجات الثانوية العامة ورغبة الأهل وضغط المحيط الاجتماعي؛ وجد الشاب السوري منفذاً له يخلو من كل الضغوطات يختار فيه مجالاً يقدر على البذل فيه، وبالتالي اختار ما يحبه وعمل به، فاكشف أنه يبرع في التدريس رغم أنه درس الحقوق والقانون، أو وجد أنه يقدر على العمل في التحرير الصحفي رغم أنه درس المحاسبة في كلية الاقتصاد!

أحد أصدقائي كان يعمل مهندساً قبل أن يضطر للسفر إلى تركيا، عندما بدأ يبحث عن عمل هناك لم يكن يقدم شهادته الجامعية كمهندس؛ بل أخذ يقدم مقاطع صوت له قام بتسجيلها ذلك أنه رغب في العمل مديعاً في برنامج إذاعي أو مقدماً لنشرات الأخبار، ذلك حقاً ما كان يستهويه، متناسياً نظرة أهله ومحيطه له عندما يعمل مديعاً بدلاً من أن يعمل مهندساً، فاليوم ما عادت نظرة بعضنا لبعضنا الآخر مهمة قدر ما يهمننا أن نعيش حياتنا كيفما نريد، ونقوم بما يشعرون بأننا نبرع في مجال آخر غير المجال الذي تخصصنا به أثناء دراستنا لمدة أربع أو خمس سنوات وسطياً، ويمكن أن نعزو ذلك للملاسة الشاب السوري الأهمية الحقيقية للحياة بعد كل الموت الذي عايشه في السنوات الماضية ولانفتاح أفاق جديدة في الحياة والعمل للشباب السوري بعد سنين طويلة من انغلاقه على مجتمع غارق في الروتين والبيروقراطية.

اعتاد الشاب السوري على تحديد مستقبله ومهنته بناءً على توقعات أهله ومجتمعه، حتى بات من الغريب جداً في المجتمع السوري أن يحصل الطالب على علامات مرتفعة في الثانوية العامة تؤهله لدراسة الطب فيختار أن يدرس التجارة والاقتصاد أو غيرها، سارت الأمور على هذا النحو حتى أصبح العرف المستقر في المجتمع يدفع الشاب لدخول فرع التخصص المتوافق مع درجاته في الثانوية العامة بعيداً عن رغبات الشاب وميوله.

قبل أربع سنوات كان الشاب السوري يتخرج في جامعته لبدأ العمل في مجال تخصصه كمهندس في مكتب أو طبيب في مستشفى أو محاسب في مؤسسة وإذا كان من الأوائل على دفعته سيصبح معيداً في الكلية التي درس بها بغض النظر عن قدراته في التعليم وإيصال المعلومات إلى الطلاب الجدد.

وفق هذا النظام الاجتماعي كان سيمر على الشاب أعوام من الروتين الوظيفي ينسى فيه ما كان يطمح له يوماً، هذا كله سيؤدي في النهاية لآثار سلبية على أداء الشاب لأي نوع من الأعمال بغياب الشغف والإبداع ليصبح جميع الشباب السوريين عبارة عن ورقة كربون تؤدي الأعمال بطرق متشابهة روتينية.

وإذا رفض الشاب الخضوع للأعراف المستقرة والتقاليد في اختيار عمله سيواجه بنظرات الاستغراب عندما يروي قصته لأحد معارفه أو ربما يتهمونهم بالجنون، فقط لأنه اتبع طريقاً يحبه لا طريقاً حُدد له بناءً على درجاته في الثانوية، وهكذا يعيش بعضنا حياة كاملة في عمل لم يقصده هو ولم يفكر يوماً هل هو مناسب له ولقدراته أم لا.

اليوم وبعد أربع سنوات من الثورة اضطر السوري إلى أن يعمل في المجال الخيري لأن إنسانيته فرضت عليه القيام بواجبه تجاه مجتمعه متطوعاً في مؤسسة خيرية أو إغاثية، فانخرطت نسبة كبيرة من الشباب في العمل التطوعي.

# الرضاعة الطبيعية في زمن الكوارث

د. سامر الجنيدي

أخصائي بأمراض الأطفال وحديثي الولادة

للرضاعة الطبيعية في الظروف العادية الكثير من الفوائد للأم والطفل وتزداد أهمية الرضاعة الطبيعية في حالات الكوارث والحروب؛ فالحليب الاصطناعي يحمل معه الكثير من الأمراض للطفل كما أن شروط استعماله لا تتوافق مع الظروف الراهنة التي تعاني منها البلاد حيث لا تتوفر المياه النظيفة ووسائل الغلي لتعقيم أدوات الرضاعة غير الطبيعية، لكن مع ذلك تنتظر غالبية النساء حليب المساعدات الصناعي ظناً منهن أن حليب الأم يتأثر بالعوامل النفسية التي تمر بها الأم المرضع.

الإرضاع الطبيعي بالنسبة للطفل هو العنصر الأهم في حياته خلال الأشهر الستة الأولى من عمره، والمنظمات الصحية العالمية وعلى رأسها منظمة الصحة العالمية تنصح بالرضاعة الوالدية الحصرية، أي إرضاع الأم لطفلها حصراً، خلال الأشهر الستة الأولى من العمر والاستمرار بالإرضاع مع الأطعمة الأخرى حتى عمر السنتين دون الاستعانة بأي حليب سواء كان اصطناعياً أو بقرياً، إن استخدام الزجاجاة يؤدي إلى تعوّد الطفل عليها وترك حليب الأم الذي سيخف تدريجياً إلى أن يتوقف الإدرار، وهذه خسارة صحيّة واقتصاديّة كبرى للطفل والأم والأسرة وحتى للمجتمع.

للرضاعة الطبيعية عدد كبير من الفوائد للطفل أهمها حصوله على المناعة، حيث تتنافس شركات الحليب من أجل صناعة شيء قريب لحليب الأم من الحليب البقري ومواد أخرى، إلا أنها تفشل في ذلك بسبب وجود بعض المواد في حليب الأم من المستحيل تصنيعها، أهم هذه المركبات ما يدعى بالمضادات الجسميّة التي تعطي مناعة للطفل خلال الأيام الأولى من الولادة وتستمر فيما بعد، كما أن بعض الخلايا الموجودة في حليب

الأم كالخلايا البالعة والخلايا اللمفاوية تلعب دوراً عظيماً في مناعة الطفل، وثمة إحصائيات عالمية تظهر بوضوح أن الطفل الذي يرضع من أمه هو أقل إصابة بالتهاب الأذن الوسطى والتهاب الطرق التنفسية وذات الرئة والتهابات الأمعاء، هذه إحصائيات الدول المتقدمة حيث الماء المعقم متوفّر وتنظيف الأواني سهل فما بالك عندما يعزّ الماء أو تصعب المحافظة على مبادئ النظافة العامة في بلد مثل سوريا يعيش سكانه أسوأ الأوضاع المعيشية حالياً!

وللرضاعة الطبيعية فوائد للأم أيضاً فهي تشعرها بالثقة بالنفس، كما تسرّع من انطمار الرحم بسبب إفراز هرمون الأوكسيتوسين لتعود الأم إلى وزنها ما قبل الحمل بسرعة أكبر عدا عن حماية الرضاعة الطبيعية للأم من الكثير من الأمراض وأخطرها سرطان الثدي وداء السكري.

وللرضاعة الطبيعية تأثير إيجابي على المجتمع ففي ٢٠١٠ ونتيجة حملة العودة إلى الرضاعة الطبيعية في الولايات المتحدة الأمريكية تم توفير ٣,٥ بليون دولار، في كل العالم المتقدم هناك عودة إلى حليب الأم لتخفيف الأعباء الاقتصادية على المجتمع ويتحدّثون عن تأثير مصانع الحليب على البيئة فما بالك عندما يتم الحديث على وضع شعبنا السوري الذي يعيش أزمة صحيّة واجتماعية واقتصادية!



## القصة الكاملة للواء شهداء بدر

رامي سويد



خالد الحياتي قائد شهداء بدر

يسيطر لواء شهداء بدر التابع للفرقة السادسة عشرة من الجيش السوري الحر على أحياء بني زيد والسكن الشبائي، وأجزاء من أحياء بستان الباشا والأشرفية والخالدية واليرمون في القسم الشمالي من مدينة حلب، يعتبر اللواء أيضاً القوة الكبرى المسيطرة على بلدات حيان ومعرستا خان في ريف حلب الشمالي.

تم تأسيس لواء شهداء بدر في صيف عام ٢٠١٢ بعد تحرير الثوار لعموم مناطق ريف حلب الشمالي، حيث قامت مجموعة من شباب بلدة حيان بتحويل كتيبة المهام الخاصة التابعة للواء أحرار عندان «الذي سُمي فيما بعد بلواء أحرار سوريا» إلى لواء مستقل، يقوده خالد سراج علي «المعروف باسم خالد الحياتي نسبةً إلى بلدته حيان».

في منتصف شهر أكتوبر/تشرين الأول من عام ٢٠١٢ قرّر «حج خالد كما يسمّيه أتباعه» دخول حي البني زيد شمال حلب، بدأت عناصر اللواء بالوفود إلى الحي والانتشار فيه ووضع الحواجز والمتاريس مع انسحاب عناصر من مقاتلي قوات حماية الشعب الكردي YPG من المنطقة دون تسجيل احتكاك يذكر بين الطرفين، وبعد ذلك بدأ «حج خالد» يسعى لتوسيع سيطرته، فهاجم حواجز ومقرات لجان الحماية الشعبية «الشبيحة» ليتمكن لواءه بعد اشتباكات عنيفة معها من السيطرة على منطقة السكن الشبائي وعلى أجزاء من حيي الأشرفية واليرمون.

في المرحلة التالية لسيطرة لواء شهداء بدر على أجزاء واسعة من المنطقة الشمالية من مدينة حلب، بدأ بشن حملة اعتقالات شملت مئات التابعين لأجهزة الأمن والشرطة والمتعاونين معهم. في الغالب كانت تتم عملية الاعتقال ببسر، ليتم نقل المعتقل بعدها إلى مباني حولها عناصر اللواء لمعتقلات في منطقة «معامل البني زيد» ليتم التحقيق مع المعتقل هناك باستخدام أساليب تعذيب قاسية جداً دفعت عناصر اللواء إلى تسمية هذه المباني بالفروع «١٠١» و «١٠٢» و «١٠٣» تشبيهاً لها بفروع

الأمن التابعة للنظام السوري. بعد التحقيق مع المعتقل، كان يتم في الغالب إطلاق سراحه مقابل فدية ضخمة وفي حالات قليلة كان تتم تصفية المعتقل إذا كان قيادياً في اللجان الشعبية أو مرتكباً لاعتداء مباشر على أحد أفراد عائلات حيان التي تسكن الأحياء التي يسيطر عليها لواء شهداء بدر.

توسعت فيما بعد عمليات الاعتقال والخطف التي يقوم بها عناصر اللواء لتشمل عشرات المدنيين من سكان هذه الأحياء بالإضافة إلى أعداد من المدنيين الذين كان يتم اعتقالهم على حاجز «الكاستلو» الذي وضعه لواء شهداء بدر على المدخل الشمالي من مدينة حلب، في الغالب كانت تتم عمليات الاعتقال والخطف في المرحلة اللاحقة بهدف الحصول على فدية مالية حيث كان يتم اعتقال الشبان المارين على حاجز «الكاستلو» وفق معطيات منها أن يكون عنوان الشاب المسجل على هويته الشخصية في

والآخر، ليكرر حج خالد العملية نفسها في العام الماضي ثلاث مرات.

في نهاية شهر نيسان عام ٢٠١٣ قام «حج خالد» بفتح جبهة جديدة حيث أمر عناصره بشن هجوم واسع على مقرات وحدات حماية الشعب الكردي YPG وحواجزها التابع لحزب الاتحاد الديمقراطي PYD، والمنتشرة في حي الشيخ مقصود غربي، المجاور لمناطق سيطرته، فقام بالاستيلاء على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر والآليات ومن ثم السيطرة على مستشفى ميداني تابع لهم، لتنتهي هذه العملية بصلح تضمن إطلاق سراح عشرات الأكراد الذين قام عناصر «حج خالد» بأسرهم مقابل تعهد وحدات حماية الشعب الكردي بعدم التعدي على عناصر لواء شهداء بدر.

بعد أشهر وإبان الحملة التي شنها تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» على ما سمي بكتائب الجيش الحر المسيئة، حصلت مشادة بين عناصر تابعين لتنظيم «داعش» وعناصر لواء شهداء بدر المتمركزين على حاجز الكاستلو في بداية شهر نوفمبر/تشرين الثاني من العام الماضي، انتهت بطلب عناصر «داعش» لمؤازرة ضخمة، لتجري اشتباكات عنيفة تنتهي بسيطرة عناصر داعش على الحاجز وعلى منطقة مزارع الملاح القريبة، قبل أن يرد لواء شهداء بدر باستهداف حاجز الإنذارات التابع لتنظيم «داعش» ويتمكن من قتل أكثر من ٣٠ عنصراً من عناصر التنظيم، الأمر الذي دفع عمر الشيشاني القائد العسكري لداعش إلى اتخاذ قرار باقتحام مناطق سيطرة لواء شهداء بدر في حلب والقضاء عليه بشكل

مناطق الفرقان أو الشهباء أو الأندلس أو الزهراء في حلب المعروفة بثراء أهلها.

مع نهاية عام ٢٠١٢ اشتدت وتيرة القصف العشوائي بقذائف الهاون والمدفعية على الأحياء التي يسيطر عليها لواء شهداء بدر الأمر الذي أدى مع عمليات الخطف والمضايقات للسكان التي كان يقوم بها عناصر اللواء إلى نزوح معظم السكان من هذه المنطقة، لتبدأ بعد ذلك عمليات السرقعة المنظمة للمنازل والورشات والمحلات والمستودعات التي تركها أصحابها، بالإضافة إلى عمليات سرقعة منظمة لمئات المعامل والورشات في مناطق اليرمون والشقيف والبنني زيد الصناعية بالاشتراك بين لواء شهداء بدر ولواء أحرار سوريا المسيطرين على المنطقة.

ساعات سمعة لواء شهداء بدر كثيراً في الفترة اللاحقة نتيجة عمليات السرقعة والخطف، حتى أن أي عملية سرقعة أو خطف كانت تقع في مدينة حلب في تلك الفترة كانت تنسب لعناصر اللواء، نتيجة لذلك قرر «حج خالد» فتح جبهة الأشرفية من جديد، في الغالب بهدف التغطية على السمعة السيئة التي بدأ يشتهر بها مع عناصر لوائه، فقام بحشد المئات من مقاتليه على جبهة الأشرفية ليقوم في يوم ذكرى انطلاق الثورة منتصف شهر آذار من عام ٢٠١٣ باقتحام المناطق التي تتمترس بها قوات النظام في الحي، ويتمكن من السيطرة على مخفر الأشرفية وجامع صلاح الدين ومنطقة الدوار الثاني لأول مرة، لتعود بعدها الأوضاع على جبهات القتال التي ينتشر عليها عناصر اللواء «الأشرفية والخالدية وأجزاء من اليرمون» إلى الهدوء النسبي مع قصف متبادل واشتباكات متقطعة بين الحين



يعتبر لواء شهداء بدر متهمًا أساسيًا باستهداف مناطق سيطرة النظام بقذائف المدفعية محلية الصنع



ريف حلب الشمالي بين الثوار وتنظيم «داعش»، انتهت هذه المواجهات باضطراب تنظيم «داعش» للانسحاب من حريتان وكفر حمرة ومن ثم من ريف حلب الشمالي بالكامل بسبب الخسار الكبيرة التي تكبدها.

مؤخراً، قام عناصر لواء شهداء بدر بشن موجات واسعة من القصف العشوائي للمناطق السكنية التي يسيطر عليها النظام في مدينة حلب، ذلك بعد إنذار وجهه اللواء إلى سكان أحياء الجابية والميدان وشارع تشرين والخالدية بضرورة إخلاء هذه الأحياء لأن قوات النظام تتمركز بها، وأدت عمليات القصف العشوائي التي قام بها لواء شهداء بدر إلى مقتل وإصابة العشرات من سكان هذه الأحياء بالإضافة إلى دمار واسع في الأبنية والسيارات المركونة في الطرقات.

ما زال «حج خالد» يقود لواء شهداء بدر بعد ما يقارب ثلاث سنوات من تأسيس هذا التشكيل الأشهر في حلب، والذي يعتبره الكثيرون عالة على الثورة ومصدراً لسمعة سيئة ألصقت بالثوار عموماً، لكن عناصر اللواء وحاضنته الشعبية تعتبر أن اللواء بالرغم من تجاوزات عناصره يعتبر من القلة القليلة التي لم تنجر وراء إملاءات الدعم الخارجي وتغيير الرايات والشعارات وفقاً لهذا الدعم.

الأمر الذي يتفق عليه الجميع أن استمرار تشكيل مسلح منذ انطلاق الثورة المسلحة إلى اليوم بل وتوسعه العام الماضي بتشكيل لواء الشهيد عبد القادر الصالح بقيادة محمد الحياني الأخ الأصغر لحج خالد «الملقب محمد رافع الراية» هو حالة خاصة بلواء شهداء بدر، خصوصاً مع محاربة هذا التشكيل لقوات النظام وتنظيم داعش معاً، وتسببه بسخط جميع السكان المحليين عليه بسبب عمليات السرقة والخطف والقصف العشوائي.

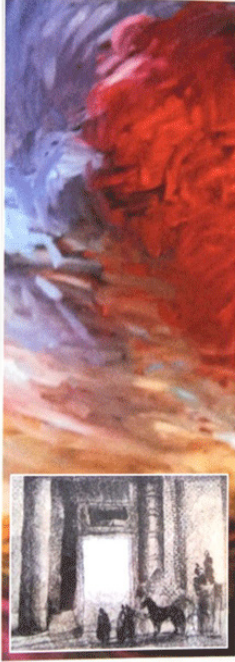
كامل من خلال حشد أكثر من ٥٠٠ مقاتل شمال أحياء السكن الشبابي والبنبي زيد واليرمون.

رداً على ذلك، قام «حج خالد» بالاتصال بقيادات قوات حماية الشعب الكردي المتواجدة في حي الشيخ مقصود وطلب منهم المؤازرة موصلاً إليهم رسالة مفادها إن انتصار تنظيم «داعش» على لواء شهداء بدر سيعني بدون شك انتقاله لقتالهم فوراً، استجابت وحدات حماية الشعب الكردي لطلب «حج خالد»، وتم إرسال خبراء في عمليات القنص التي يُشتهر بها مقاتلو قوات حماية الشعب الكردية لتغيير وترتيب أماكن تمركز القناصين التابعين للواء شهداء بدر على جبهة السكن الشبابي-الكاستلو التي حاول عناصر تنظيم داعش من خلالها دخول مناطق سيطرة لواء شهداء بدر عدة مرات انتهت جميعها بالفشل، نتيجة الخسائر البشرية والعسكرية الكبيرة التي تكبدها التنظيم، الأمر الذي دفع قيادة التنظيم إلى التوقف عن مهاجمة مناطق سيطرة لواء شهداء بدر ليسجل اللواء النصر الوحيد الذي حققته كتائب الثوار على تنظيم «داعش» قبل اندلاع المواجهة الشاملة بين الطرفين مع بداية العام الحالي. حاولت قوات النظام استغلال الصدام بين لواء شهداء بدر وتنظيم «داعش» من خلال محاولة اقتحام مناطق سيطرة اللواء على جبهتي الخالدية والأشرفية، لكن العناصر التابعين لـ «حج خالد» تمكنوا بشكل متزامن من صد هجوم قوات النظام جنوباً مع صدمهم لهجوم تنظيم داعش شمالاً، والرد بقوة على قوات النظام السوري من خلال القصف الكثيف لمعمل الغاز ومستودع الأخشاب والمشفى الفرنسي والمشفى اليوناني والتي تعتبر أكبر النقاط العسكرية التي تتمركز قوات النظام فيها في المنطقة المقابلة لمنطقة سيطرة لواء شهداء بدر.

إبان اندلاع المواجهة الشاملة بين عموم فصائل الثوار من جهة وتنظيم داعش من جهة ثانية مع بداية عام ٢٠١٤، شارك عناصر شهداء بدر بقوة في المواجهات التي جرت في ريف حلب الشمالي، حيث قاتلوا لشهرين متواصلين تنظيم داعش الذي ركز قواته بعد انسحابه من مدينة حلب في منتصف كانون الثاني في العام الماضي في منطقتي حريتان وكفر حمرة لتصبح المنطقة الممتدة بين حيان وحريتان والتي تعتبر المنطقة التي تحوي الحاضنة الشعبية الأكبر للواء شهداء بدر؛ ساحة المواجهة الأبرز في

## صور المأساة السورية في أدب السجون

زينة عادل



عيون المعاصرين

رياض معسّس

حمام  
زنوبيا

تقديم  
نوفعة بكار

دار الجنوب

لروايات أدب السجون تفاصيل لا تغادر الذاكرة، بل لعلها تهاجم أحلامك، يومياتك وردود أفعالك، قد تجدها قاسية ومكررة، ولكنك ستتفاجأ كلما قرأت كتاباً عن معاناة السجناء في سجون النظام السوري بمقدار الواقع المغيّب عنك ومقدار الظلم الذي يواجهه السجن هناك.

أغلب الروايات التي تندرج تحت تصنيف أدب السجون السوري كُتبت من قبل سجين سياسي سوري سابق، فمرور الكاتب بتجربة السجن يضي مصداقية واضحة على عمله الأدبي الروائي، قد يكتب السجن السياسي السابق روايةً لمواجهة النسيان، أو للتخلص من ذلك العبء الثقيل الذي تحمله أحلامه وذكرياته لتكون الكتابة متنفساً، ولكن في الحالات كلها فإن الكاتب يريد أن يوصل معاناته والظلم والذل الذي لحق به لكل بيت سوري.

ليس بمستغرب أن يكون أدب السجون السورية الأشهر، بكل ما يحتويه من رعب وهلع لما عرف من وحشية وظلم هذا النظام وقمعه المريع، وسلطة أجهزته الأمنية على مدى عشرات السنين.

### رواية «حمام زنوبيا» لرياض معسّس

رواية «حمام زنوبيا» للكاتب السوري المعارض الناجي من مجزرة سجن تدمر العسكري رياض معسّس، صدرت عن دار الجنوب للنشر في تونس، وأهداها كاتبها للشهيد محمد البوعزيزي.

تعكس الرواية صورة سوريا بدءاً من النكبة في عام ١٩٤٨، وانتهاءً بمجزرة سجن تدمر عام ١٩٨٠، يقص الراوي حكاية نجاته من المعتقل، ويُرْجِع الفضل في ذلك إلى فأر اخترق الجدار واكتشفه صدفة فراح يتبع خطاه مع رفيقه «أبو ثائر» ليوسعا من الثقب الذي

دخل منه، هكذا يقدّم الروائي صورة سريالية للحياة في السجون السورية ولعبيتها، فيتعلق السجن بأثر فأر لينجو من بطش السجانين.

يصور الكاتب في الرواية تجربته في سجن تدمر عن طريق بطل روايته «مالك حصيرة» الذي اعتقل على خلفية اتهامه بإخفاء كنز قديم وجدته باحثة فرنسية تعمل وأخيها لحساب أحد المسؤولين الكبار في قصر «الحير» الأثري قرب تدمر، لتشاء الصدفة أن يلتقيها ويكون دليلها للمعالم التاريخية ويعيش معها الحب ما أوصله إلى غياهب سجن تدمر العسكري.

يمضي الكاتب في روايته بتصوير أروقة السجن ووزنانات الرطبة المتعفنة، الرشاشات والوشايات، معاناة المساجين، بكاء المقهورين، أنين الجرحى وزفرات موت المشنوقين.

## خمس دقائق وحسب !

تسع سنوات في سجون سورية



هبة  
الدباغ

تقديم  
زينب الغرغالي الجبيلي

دموعهن، مرضهن وجوعهن، تحكي إضرابهن عن الطعام لأيام طويلة ولعدة مرات للضغط على السجانين لتلبية طلباتهن، لعبُ السجانين بمشاعرهن والكذب عليهن مئات المرات بصور قرار الإفراج، عاطفتهن الجياشة عندما يرين طفلاً أو حتى قطة، منعهن من رؤية أقربائهن لسنين وسنين، لا يملك القارئ إلا أن يبكي وهو يرى ردة فعلها عندما تعلم بخبر مقتل أهلها جميعاً في أحداث حماه وهي تقول أن الله أحبهم فاصطفاهم للشهادة، فلماذا علي أن أحزن!

لم تحاول الكاتبة استرجار شفقة القارئ، إنما أرادت فضح النظام وفاعله، بل لعلك تستغرب قوتها ومثيلاتها بالسجن، وتراهن أقوى من الرجال في بعض المواقف، ويحسب لها جرأتها في توثيق تجربتها وعذاباتها.

تميزت الرواية بسرد دقيق لقصص النساء وتفصيلها وأسماء المحققين، تميزت الرواية بسرد سلس غلبت المأساة على نمطيته التقليدية.

نجح معسوس في إيصال سيرة المسجونين بقالب أدبي يخرق قلوب القراء ويمس روحهم وإنسانيتهم. فعند الوصف القوي في الرواية، يقف القارئ متخبط المشاعر، لا يقوى على تحديد موقفه من الظلم وانتهاك حقوق الإنسان، يقول معسوس في روايته: «ذات ليلة كان السجناء نياماً، تحرك أحدهم ويقع مكانه تحت فتحة التهوية، نهره الحارس وأمره ألا يتحرك وبال على رأسه، لم يجرؤ السجن على التحرك والبول يتساقط عليه من الشراقة».

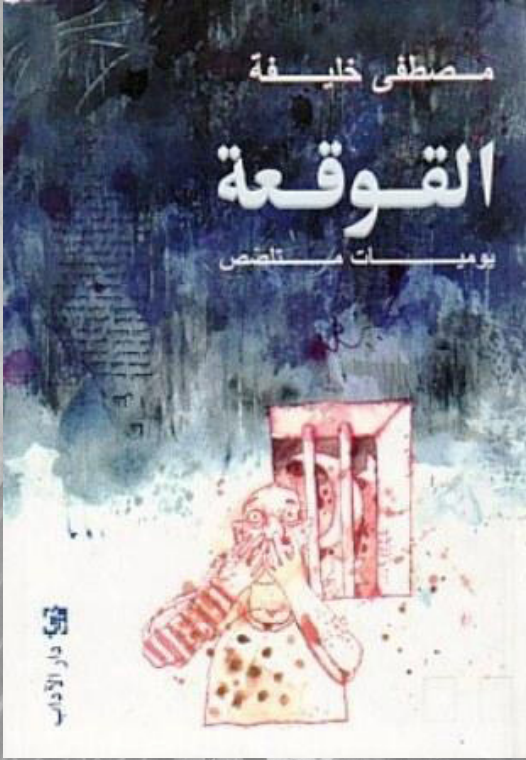
قدم للرواية الناقد التونسي، وعميد كلية الآداب بجامعة تونس، توفيق بكار، وذهب في تقديمه لها إلى اعتبار هذا العمل الأدبي «تغريد طير في الفضاء طليق يشدو للبعث بعد الموت وبعد عناء الأسر بالحرية البكر»، ثم يقول: «من هول وويل هذا الكتاب، على النفوس قاس لا يحدثها، أكثر ما يحدثها، إلا بأسود مرعب كثقل الكابوس في ليل عناء طويل، نكد عيش وتشريد شباب ومظالم وكم أفواه، ورشاوى تبتز، ووشايات تكيد، وشجون وسياط عذاب، وأرواح تزهق جملة وتفصيلاً».

### رواية «خمس دقائق وحسب» لهبة الدباغ

«وقتها ارتد بي البصر إلى دمشق عام ٨٥ وعدت بالذاكرة إلى ليلة رأس السنة في بيتنا بالبرامكة قبل تسع سنوات بالتحديد، ليلة أن اصطفت المخابرات على طول الشارع في منتصف الليل... وسألني رئيسهم أن أذهب معه خمس دقائق وحسب وانتزعوني من الحياة تسع سنوات كاملات دون أن أعرف سبباً لذلك إلى اليوم»!

بهذه الكلمات تلخص هبة الدباغ مأساتها في روايتها «خمس دقائق وحسب»، هبة الفتاة الحموية التي اعتقلت وسجنت تسع سنوات كرهينة عن أخيها المنتسب لتنظيم الأخوان المسلمين.

يغوص القارئ وهو يقلب صفحات الرواية بقصص شتى لنساء وأطفال ساقهم النظام السوري إلى السجون دون أي مراعاة أو شفقة ودون أي ذنب أو تهمة. تسرد لنا هبة بتفصيل بارع دقيق معاناة المعتقلات،



لم تستعمل الكاتبة أي نوع من أنواع الشتائم والألفاظ السوقية التي طالما يستخدمها السجانون الأمر الذي يمكن اعتباره قد أفقد الرواية جزءاً من مصداقيتها، بعد قراءة الرواية تحس بقيمة الهواء النقي، الماء، الطعام النظيف.. الدواء.. الضوء.. والعديد من النعم التي لا تحصى والتي تحدثت الكاتبة عن ألم فقدها في المعتقل!

#### رواية «القوقعة» لـ مصطفى خليفة

حازت هذه الرواية شهرة كبيرة، حتى قيل إنها ظلمت ما قبلها وما سيأتي بعدها من كتب أدب السجون، يحكي الكاتب تجربته الموجهة في سجن تدمر، فينسج قصة شاب مسيحي اعتقل وسجن بتهمة الانتماء للأخوان المسلمين، استطاع خليفة بحكم عمله كمخرج سينمائي قبل الاعتقال أن يصور مشاهد التعذيب كما لو كان يروي فيلماً سينمائياً، لذلك يصعب على القارئ أن يخرج هذه المشاهد من مخيلته.

لن تستطيع نسيان الرجل الحلبي الذي أُعِدِم أولاده الثلاثة دفعة واحدة، الضرب كل يوم ومع كل مخالفة ٥٠٠ جلدة، تملكك الدهشة وأنت ترى السجناء الأطباء يجرون عملية استئصال زائدة دودية بإمكانات بسيطة استنبطوها من طعامهم وحاجياتهم، تصرخ لانتحار صديقه بطل الرواية «نسيم» بعد خروجه من السجن، تنهمر دموعك وأنت تراه يصلي الجنازة ويقرأ الفاتحة عند قبر أبويه بعد الإفراج عنه، دون أن تنسى القوقعة التي بناها لنفسه بعد أن قاطعه كل السجناء ذوي التوجه الإسلامي باعتباره ملحداً بسبب توجسهم منه وخوفهم من أن يكون جاسوساً.

«تقف السيارة عند إشارات المرور، أنظر إلى الناس، أتفحص وجوههم، ما هذه اللامبالاة، ترى كم واحد منهم يعرف ماذا جرى ويجري في السجن الصحراوي؟ أهذا هو الشعب الذي يتكلم عنه السياسيون كثيراً؟ يتغنون به.. يمجّدونه.. يؤلهونه؟ ولكن هل من المعقول أن هذا الشعب العظيم لا يعرف ماذا يجري في بلده؟ إذا لم يكن يعرف قتلك مصيبة، وإذا كان يعرف ولم يفعل شيئاً لتغيير ذلك فالمصيبة أعظم!»

بهذه الكلمات يصف خليفة لحظات خروجه من السجن الذي أمضى فيه نتيجة تقرير رفع عنه عندما كان في إحدى السهرات ببarris واصفاً صوت الرئيس بالتيس ورأسه بالبغل ١٣ عاماً..!

بعد قراءة تلك الرواية وغوصك فيها تجتاحك العديد من الأسئلة، ممّ خُلِق هؤلاء الجلادون، من أين أتوا بكل هذا الخلق والإبداع في صنوف التعذيب؟ لم كل هذا الظلم؟ ماذا يحدث الآن في السجون بعد أن تجرأ الشعب بأكمله ووقف بوجهه وأعلن رفضه له؟

لا تعود تستغرب عندما تجد أن معظم المعتقلين قتلوا تحت التعذيب، والذين كُتبت لهم فرصة النجاة منه؛ بقي السجن داخلهم لم يخرجوا منه، لتجدهم ينتحرون أو يسلكون سلوك التطرف، بعد أن قتلت تلك التجربة كل بذرة خضراء في نفوسهم.

قلة قليلة استطاعت أن تغلب على كل ذلك لتخرج بكتب تسرد تلك المآسي وتصف لنا كل تلك القسوة وتثبت قول جبران خليل جبران: «قل للرئيس إذا مررت بسجنه.. أن السجون معاهد الأحرار»!

## التراث السوري مجزرة المقامات والأضرحة الصوفية ما زالت مستمرة -القسم الثاني-

د. شيخموس علي - أ. سالم علي  
جمعية حماية الآثار السورية



هدم ضريح عبد القادر بك العظم في ريف دمشق

عرضنا في الجزء الأول من هذا البحث والذي نشر في العدد الماضي من الغرزال؛ المقامات والأضرحة والقبور التي تعرضت للقصف أو التدمير أو النش في المنطقة الشمالية والوسطى في سوريا حيث بلغ عددها في محافظة حلب وريفها ٢٥ مزاراً وقبراً تم توثيقها. أما في محافظة إدلب فقد بلغ عددها ٧ وفي حمص ٣ وأخيراً في حماة ١. نتناول في الجزء الثاني من هذا البحث المقامات والقبور والمزارات التي تعرضت للتدمير الكلي أو الجزئي في المنطقة الجنوبية ومنطقة الجزيرة السورية.

### المنطقة الجنوبية:

#### ٥- درعا:

في مدينة نوى بريف درعا قامت جبهة النصرة بتاريخ ٢٠١٥/١/٧ بتفجير مقام الإمام النووي، من خلال زرع متفجرات في قلب المقام الذي يقع وسط مقبرة نوى القديمة التي تسمى بمقبرة الإمام النووي، حيث تم تدمير الضريح بشكل كامل واقتلاع الشجرة التي كانت متواجدة فيه.

#### ٦- السويداء:

قامت عناصر تابعة لتنظيم «الدولة الإسلامية» بتفجير مقام ديني يسمى مقام سيدي سلمان -نسبة إلى سلمان الفارسي- في قرية القصر التي تقع في الريف الشرقي من محافظة السويداء بتاريخ ٢٠١٤/١٢/٢٢.

#### ٧- ريف دمشق:

تم توثيق حالتين، كانت الأولى بتاريخ ٢٠١٣/٥/٢ حيث قامت إحدى المجموعات المسلحة بنش قبر الصحابي حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي الكندي، وهو صحابي من أشرف أهل اليمن، وتذكر كتابته كانت موجودة في غرفة الضريح، أن تجديد المقام قد تم سنة ٦٠٢هـ أي في القرن الثالث عشر الميلادي (العصر الأيوبي)

ويدل الطراز المعماري لما تبقى من المبنى الأصلي أن هذا البناء يعود بالفعل إلى الفترة الأيوبية. أما الحالة الثانية فهي نبش وهدم ضريح عبد القادر بك العظم بن أحمد مؤيد باشا من قبل تنظيم «الدولة الإسلامية» بتاريخ ٢٠١٤/١٢/١٢.

ويذكره صاحب فتى النيل في مقاله المنشور في العدد الخامس عشر من السنة الثانية: (عالم لغوي واجتماعي واقتصادي وزراعي وسياسي وعمراني، قليل من أمثاله في سوريا، ناجح الرأي، بعيد النظر، وقور، رزين. تولى رئاسة بلدية دمشق مراراً في العهد العثماني، وكان عضواً في مجلس الشورى السوري عقب انفصال سوريا عن الدولة التركية، توفي رحمه الله في دمشق سنة ١٩٢٠).

### المنطقة الشرقية:

#### ٨- الرقة:

أولى عمليات هدم المزارات والقبور الصوفية في سوريا لأسباب إيدولوجية بدأت في ريف الرقة، وذلك قبل وجود تنظيم «الدولة الإسلامية» بفترة طويلة. فقد قامت مجموعة كانت تسمى «مكتب البحث السري» بهدم عدة مقامات دينية منها: مقام النبي إبراهيم في قرية عين عروس القريبة من مدينة تل أبيض وذلك خلال شهر أيار عام ٢٠١٣.

العامة للآثار والمتاحف. تم التنقيب الأثري المنهجي في موقع دبسي فرج منذ عام ١٩٧٢ ضمن مشروع إنقاذ آثار حوض الفرات.

#### ٩- دير الزور:

قام تنظيم «الدولة الإسلامية» بهدم وتفجير عدد من المزارات والأضرحة، في ريف دير الزور مثل مزار عين علي الواقع في ريف بلدة القورية، ومقام الشيخ عيسى عبد القادر الرفاعي في تل البصرة، كما فجر مقاتلو التنظيم مقام الشيخ عبد اللطيف عبد القادر الرفاعي القريب من المقام السابق الذكر بريف دير الزور الشرقي، وقبر الشيخ محمود الأنطاكي في مدينة الميادين، ومزار الشيخ أنس بتل أنس الأثري في منطقة الميادين، وضريح الشيخ الشبلي في موقع زلبيا على الفرات، بالإضافة إلى نبش قبر الشيخ عبد الصمد الراوي الذي كان متواجداً في تكية الراوي بمركز مدينة دير الزور.

ومن جهة أخرى قام لصوص الآثار بنبش بعض القبور التي كانت توجد في منطقة السوق المقبي بمركز مدينة دير الزور وحفر قبور أثرية في تل السن، وتل عين علي ودورا وأربوس.

#### ١٠- الحسكة:

أما في محافظة الحسكة، فقد وردت معلومات لم نستطع التأكد منها تشير إلى قيام تنظيم «الدولة الإسلامية» بتدمير مزار الشيخ عبد العزيز في منطقة جبل عبد



بعد ذلك بفترة وجيزة قام أفراد من هذه المجموعة بهدم أضرحة في العديد من القرى بمحافظة الرقة، مثل قبر أبو عابد ومقام الدروبية.

وبعد سيطرة تنظيم «الدولة الإسلامية» على محافظة الرقة قامت بدورها بتفجير وهدم العديد من الأضرحة والمقامات مثل مزار في قرية مشرفة الشيخ أحمد بريف مدينة تل أبيض ومقام شركسي لم يتمكن من معرفة اسمه أو القرية التي كان يتواجد فيها.

أما في مركز مدينة الرقة فقد قام التنظيم المذكور بهدم عدد من المباني الملحقة بضريح الصحابي عمار بن ياسر والتابعي أويس القرني.

بالإضافة إلى المقام الذي كان متواجداً في صحن الجامع العتيق (جامع المنصور الذي بني خلال العهد العباسي). حيث تم هدم المقام بالجرافة بشكل كامل من قبل عناصر تنظيم «الدولة الإسلامية»، ويُنسب هذا المقام إلى وابضة بن معبد الأسدي، لكن بعض المؤرخين ينسبونه للوالي العثماني سعد الدين باشا العظم الذي دفن في الجامع العتيق بالرقة في أواخر الفترة العثمانية بالقرن ١٩ ميلادي وذلك إثر تعرضه لطعنة خنجر قاتلة.

أما فيما يتعلق بالمدفن الأثرية التي تم نهبها في محافظة الرقة، فقد قام لصوص الآثار بنبش بعض القبور في موقع دبسي عفنان الذي يقع بالقرب من موقع دبسي فرج الأثري، دبسي فرج التي تقع فيها أطلال مدينة «أثيس» الرومانية Athice، وهي المدينة السالفة لقرية دبسي فرج في العصر الروماني، لكونها ملاصقة لها تماماً. وإلى الشرق منها قليلاً تقع قرية دبسي عفنان، فالقريتان متجاورتان، لا يفصل بينهما سوى بضعة مئات من الأمتار، وهما من المواقع الأثرية المسجلة لدى المديرية



قبور تم نهبها في موقع دبسي عفنان

أما منطقة الجزيرة السورية فقد بلغ العدد ٢٥ توزع على الشكل الآتي: محافظة دير الزور ١١ قبراً ومزاراً تم توثيقه حتى الآن، يليها الرقة حيث تم توثيق تسعة حالات، وأخيراً الحسكة التي تم توثيق خمسة حالات فيها.

يتبين من خلال هذه الدراسة أن ٦٥ قبراً ومزاراً على الأقل تعرضت لأضرار مختلفة تعود لأسباب إيديولوجية أو بقصد البحث عن الآثار (المنطقة الجنوبية ٤، المنطقة الوسطى ٤، المنطقة الشمالية ٣٢، منطقة الجزيرة ٢٥). أخيراً، لا بد من التنويه إلى أن معرفة العدد الحقيقي للمقابر والمقامات المتضررة وتوثيقها بشكل دقيق تبقى عملية صعبة جداً في الظروف الراهنة، لأن هنالك العشرات من المقابر والمزارات الصوفية التي تم تدميرها، وبشكل خاص في أرياف حلب والرقة والحسكة ودير الزور، التي لم يتم توثيقها أو نشر خبر عنها من خلال المواقع الإلكترونية أو شبكات التواصل الاجتماعي. أضف إلى ذلك أن هنالك المئات من المقابر الأثرية وبشكل خاص في ريف محافظة إدلب ومنطقة تدمر تم نبشها من قبل لصوص الآثار، ولم تتمكن من معرفة عددها بالضبط وبالتالي توثيقها.

العزير، بالإضافة إلى هدم الضريح الموجود على سفح تل طابان ومقام الشيخ نامس في تل صاهوك على طريق «الحسكة - القامشلي» بالقرب من تل براك.

كما قام تنظيم «الدولة الإسلامية» بهدم مراقد المشايخ الخزنويين - المؤسسين للطريقة الصوفية النقشبندية (الشيخ أحمد الخزنوي، والشيخ محمد معصوم الخزنوي، والشيخ علاء الدين الخزنوي، والشيخ عز الدين الخزنوي) بالإضافة إلى هدم مسجد وحلقة للعلم وحرقت كافة محتويات المعهد من كتب ومخطوطات يشرف على إدارتها أبناء الشيخ الخزنوي في قرية تل معروف التابعة لمنطقة القامشلي.

أما فيما يخص عمليات نبش القبور الأثرية، فقد تعرضت بعض القبور في موقع تل عربان بمنطقة الشدادة للحفر من قبل لصوص الآثار.

تشير عمليات الإحصاء والتوثيق من خلال المعلومات المنشورة والموثقة إلى أن عدد المزارات والقبور التي تم هدمها أو تفجيرها أو نبشها لأسباب إيديولوجية أو بقصد العثور على لقى أثرية؛ بلغ حتى الآن ٤ في المنطقة الجنوبية (اثان في ريف دمشق، وواحد في درعا، وواحد في السويداء).



مقام النبي إبراهيم في عين عروس وريف الرقة

يادامي العنين والكفين

إنَّ الليل زائله

لا غرفة التوقيف باقية

ولا زردُ السلاسل

نيرون مات ولم تمت روما

بعينها تُقتله

وحبوبُ سنبلَةٍ تموتُ

ستملأ الوادي سنابله

